الجزء الثامن
الحسن بن أحمد الأستراباذي
أبو علي النحوي اللغوي، الأديب الفاضل، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان، وله من التصانيف: كتاب شرح الفصيح. كتاب شرح الحماسة.
الحسن بن أحمد، بن الحسن، بن أحمد
ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن حنبل، بن إسحاق العطار الحافظ أبو العلاء الهمذاني، المقرئ من أهل همذان. مات في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة. وذكره بعض الثقات من أهل العلم، فذكر له مناقب كثيرة، وذكر نسبه وولادته فقال: هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد، ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن إسحاق العطار الهمذاني. وكان عثكل من العرب. وأما ولادته: فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. بهمذان وذكر من مناقبه قال: سمعته - رحمه الله - يقول: سلمت في صغري إلى رجل معلم. قال: سماه ونسيت اسمه قال: وكنت أحفظ عليه القرآن، فحفظت عليه إلى سورة يوسف، ثم أجرى الله لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة، من غير تحفظ وتكرار، فضلاً منه جل جلاله. قال: وسار في ليلة واحدة في طلب الحديث من جرباذقان إلى أصفها.
وسمعته يقول: لما حججت كنت أمشي في البادية راجلاً قدام القافلة، أحياناً مع الدليل، وأحياناً أخلف الدليل، حتى عرفني الدليل واستأنس بي ومال إلي، وهو يسير على ناقة له تكاد ترد الريح، وكنت أرى الدليل يتعجب من قوتي على السير، وكان أحياناً يضرب ناقته ويمعن في السير، وكت لا أخلي الناقة تسبقي. فقال لي الدليل يوماً: تقدر أن تسابق ناقتي هذه؟ فقلت: نعم. فضربها وعدوت معها فسبقتها. قال: وكان كثير الحفظ للعلوم، كثير المجاهدة في تحصيلها، فسمعته يقول - رحمه الله -: حفظت كتاب الجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني، في يوم واحد

من الغداة إلى وقت العصر. قال: وسمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الحسين الوشاء المقرئ يقول: سمعت الإمام الحافظ - رحمه الله - يقول: حفظت يوماً ثلاثين ورقة من القراءة. قال: وسمعت الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن شيخ الإسلام الحافظ أبي العلاء قال: سمعت الشيخ الصالح إبراهيم المرجي قال: سمعت الشيخ - رحمه الله - يقول: ولو أن أحداً أتاني بحديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغني لملأت فاه ذهباً. قال: وكان الشيخ - رحمه الله - حفظ الجمهرة لأبي بكر بن دريد، وكتاب المجمل لابن فارس، وكتاب النسب للزبير بن بكار.

قال: وبلغني عن الثقة أن الحافظ أبا جعفر - رحمه الله - كان يقول: لو أن الله تعالى يقول لي يوم القيامة: ماذا أتيتني به؟ أقول ربي وسيدي، أتيتك بأبي العلاء العطار. قال: وكان الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل الجوزي - رحمه الله -، يملي يوماً في الجامع بأصفهان وعنده جماعة من المحدثين، إذ دخل الشيخ الحافظ أبو العلاء - رحمه الله - من باب الجامع، فلما نظر الحافظ أبو القاسم إليه أمسك عن الإملاء، ونظر إلى أصحابه وقال: أيها القوم: إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهذا الرجل المقبل من جملتهم، قوموا نسلم عليه، فقاموا واستقبلوه، وسلموا عليه واعتنقوه. قال: وكان يقرأ على الشيخ أبي العز المقرئ القلانسي الواسطي - رحمه الله -، وكان يفضله على أصحابه، فشق ذلك عليهم، فاجتمع بعضهم يوماً وفيهم الشيخ أبو العلاء - رحمه الله -، فسألهم الشيخ أبو العز عن اختلاف القراء. في قوله تعالى:)كوكب دري يوقد(وأقاويل الأئمة فيها، فسقط في أيديهم، وتاهوا في شرحها، وما أجابوا بطائل. ثم أقبل الشيخ أبو العز على الشيخ - رحمه الله - وقال: تكلم أنت فيها يا أبا العلاء، فشرع فيها الشيخ وعد فيها بضعة عشر قولاً، وأدى فيها حقاً بأحسن إشارة، وأبلغ عبارة. فلما فرغ، نظر الشيخ أبو العز إلى أصحابه الحاضرين وقال: بهذا أفضله عليكم، لو أمهلتكم مدة لما قدرتم على الذي ذكر هو بديهة من

غير عزيمة سابقة، وروية سالفة.
قال: وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين. كتب إليه المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين كتاباً من جملته: وبعد، فإن الأب القديس النفيس، خامس أولي العزم، وسابع السبعة على الحزم، وارث علم الأنبياء، حافظ شرع المصطفى أبا العلاء، ثم ذكر كلاماً واستدعى منه الدعاء. قال: وسمعت ولده أبا محمد عبد الغني ابن الشيخ الحافظ أبي العلاء - رحمه الله - يقول: لما دخل أبي على أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله - رضي الله عنه - بعد استدعاء أمير المؤمنين إياه، كان يأمره خواص الخليفة بتقبيل الأرض في المواضع، وكان يأبى ذلك، فلما أكثروا عليه قال: دعوني، إنما السجود لله تعالى، فكفوا عنه حتى وصل إليه، وسلم بالخلافة عليه، فقام له أمير المؤمنين وأجلسه، ثم كلمه ساعة وسأل نمه الدعاء، فدعا وأذ له في الرجوع فرجع، وكانوا قد أحضروا الخلعة والصلة فاستعفى من ذلك فأعفي، وخرج من بغداد حذراً من فتنة الدنيا وآفاتها.
وحدثني غير واحد، أن السلطان محمداً لما دخل عليه داره، نصحه كثيراً ووعظه، وكان السلطان جالساً بين يديه، مقبلاً عليه بوجهه، مصغياً إلى كلامه فلما قام ليخرج، أمره بتقدمة رجله اليمنى، وأخذه الطريق من الجانب الأيمن.
وسمعت الإمام أبا بشر - رحمه الله - يقول: سمعت عبد الغني بن سرور المقدسي يقول: كنت يوماً في خدمة الحافظ أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية، تقرأ الحديث، فجرى ذكر الحفاظ إلى أن انتهى الكلام إلى ذكر الحافظ أبي العلاء - رحمه الله -، فأطرق الحافظ أبو طاهر عند ذكره ساعة، ثم رفع رأسه وقال: قدمه دينه، قدمه دينه.
قال: وسمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد ابن منصور المقرئ الخطيب بشيراز، يذكر الحافظ أبا العلاء - رضي الله عنه - ويثني عليه، ثم أنشد يقول:

فسار مسير الشمس في كل مـوطـن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: وسمعت الإمام أبا نصر أحمد بن الإمام الحافظ أبي الفرج بن عبد الملك بن الشعار يقول: سمعت

الإمام أبا الحسن الحراني يقول: كنت أطوف بالكعبة، فرأيت شيخاً في الطواف، فلما نظرت إليه تفرست فيه الخير والصلاح، فانتظرته حتى قضى طوافه، فدنوت منه، وسلمت عليه فرد علي السلام، فسألته عن الوطن، فسمى لي موطناً بعيداً، ذكره أبو الحسن، ونسيه أبو نصر. قال أبو الحسن: فقلت: أي شيء المقصد بعد بلوغك بيت ربك؟ فقال: مقصدى الحافظ أبو العلاء، فتعجبت في نفسي وقلت: ستظفر إن شاء الله بمقصودك، وتنال مطلوبك، وبكيت حتى غلبني البكاء. فقال لي: ومم بكاؤك؟ فقلت: إن الحافظ أبا العلاء الذي تقصده وتأمل بلوغه، قد كنت مستفيداً منه كذا وكذا سنة، قرأت عليه القرآن ختماً، وسمعت منه الحديث الكثير، فتعجب من قولي وقام إلي، وقبل بين عيني، وهو يفديني بأبيه وأمه، وغاب عني.

قال: وسمعت أبا بشر يقول: لما دخلت على الإمام أبي المبارك المقرئ بشيراز، جعل يذكر شيخ الإسلام الحافظ أبا العلاء الهمذاني - رحمه الله - ويثني عليه. ثم أنشد متمثلاً:

فسار مسير الشمس في كل مـوطـن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: رحل إليه رجل من أقصى المغرب، وكان له حظ في كل علم، ومدحه بقصيدة هي من غرر القصائد، وذكر أحواله في سفرته، وما أصابه من التعرب والمشاق. ومن شعره فيه أيضاً:

سعى إليك على قرب ومن بـعـد من كان ذا رغبة في العلم والسند
حتى أناخ بمغناك الـكـريم وقـد كلت ركائبه في العنف والسـنـد
لذاك أثرى وما أوعت أنـامـلـه لكن وعى قلبه ما شاء مـن مـدد
وما أناخ بمغنـى غـيركـم أحـد إلا ونودي، ما بالربع مـن أحـد
وقد قصدتك من أقصى المغارب لا أبغي سواك لوحى الواحد الصمـد
وما امتطيت سوى رجلي راحـلة وقد غنيت عن العـيرانة الأجـد
وهذه رحلة بكر عن ساق ذي عزمات

كشـفـت لـهـا غير متـئد
عناية لم تكن قبلي وحظوة لم تكن في لـذي طـلـب غابـر الأبـد
هل كان قبلك حبر وسار مدة حول سير أمـه رجـل? مجـتـهـد
أبا الـعـلاء الـكـل إنـك أقصى العراق مقيم فـي منه في بلـد
وقد فشا لك ذكر في البلاد كـمـا فاحت أزاهر روض للغمام نـدى

قال: وسمعت الشيخ - رحمه الله - يقول يوماً لمن حضره: إن خلف أبو العلاء ديناراً أو درهماً بعد موته، فلا تصلوا عليه. وقد كان - رحمه الله - لا يبقى على الذهب والفضة، وكل ما آتاه الله منها يصرفه في اليوم، وينفقه في قضاء الديون ومراعاة الناس، فمات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، حتى بيعت داره وقضى منه دينه. قال: وكان - رحمه الله - شديد التمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يسمع باطلاً أو يرى منكراً إلا غضب لله، ولم يصبر على ذلك ولم يداهن فيه. قال: سمعت أبا رشيد راشد بن إسماعيل المعدل يقول: كنت عند الشيخ يوماً فدخل عليه أبو الحسين العبادي الواعظ زائراً، وجلس عنده زماناً وجعل يكلم الشيخ إلى أن جرى في كلامه، وقد عزمت غير مرة على الإتيان إلى الخدمة، لكن منعني كون الكوكب الفلاني في البرج الفلاني، فزجره الشيخ وقال: السنة أولى أن تتبع، فقام العبادي خجلاً وخرج. وكان من ورعه في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ما كان يترجم الحديث للعامة رعاية منه للصدق، واستدعى منه بهمذان أن يفسر للناس حديثاً واحداً فأجاب، وقعد لذلك، فلما شرع في الكلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الدولة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر ثم رجع وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدعى منه ثانياً بالكرخ كذلك، فروى حديثاً في فضائل الأعمال وفي بعض ألفاظه)حتى يدخل الجنة(، ففسر لفظة الجنة قبل أن

يفسر لفظة)حتى يدخل(كأنه قدم لفظة)الجنة(على لفظة)حتى يدخل(في ترجمته، فاستغفر ورجع، وأتى بها على الوجه المنطوق به في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان - رحمه الله - يتحرج عن القصص والكلام فيه والتنمق والتكلف حذراً من الزيادة والنقصان. ولما قصد السلطان محمد بغداد، وحاصرها وخالف الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه. كان الشيخ - رحمه الله - يقرأ صحيح البخاري بهمذان على الشيخ عبد الأول - رحمه الله - على أسلوب. يحضره لسماع الكتاب عامة أهل البلد، من الأمراء والفقهاء والعلماء، والصوفية والعوام، فصرح بالقول قائماً على المنبر، بأن السلطان ومن معه من جنوده خارجة مارقة. ثم قال: لو أن رجلاً من عسكر أمير المؤمنين رمى رجلاً من أصحاب السلطان بسهم، وجاءه آخر من غير الفريقي، فنزع السهم من جراحه، يكون هو أيضاً خارجياً باغياً، وكرر القول في ذلك مراراً. قال: وسئل الشيخ - رحمه الله - عن سبب أكثر اشتغاله بعلم الكتاب والسنة فقال: إني نظرت في ابتداء أمري فرأيت أكثر الناس عن تحصيل هذين العلمين معرضين، وعن دراستهما لاهين، فاشتغلت بهما، وأنفقت عمري في تحصيلها حسبة قال: ورأى - رحمه الله - قلة رغبة الخلق في تحصيل العلم، والرحلة ولقاء الشيوخ، فاتخذ مهداً وعزم على المضي إلى بغداد وأصفهان للرواية، ورفع مناور العلم وإحياء السنة حسبة، فمنعه الضعف والكبر، وأدركته المنية وهو على هذه النية. قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ - رحمه الله - يقول: كنت واقفاً يوماً على باب دار الشيخ أبي العز القلانسي - رحمه الله - في حر شديد أنتظر الإذن، فمر بي إنسان فرآني على تلك الحال واقفاً فقال لي: أيها الرجل، لو أنك تصير إماماً يقرأ عليك، ويقتدى بك، أهكذا كنت تفعل أنت بطلبة العلم ومن يأتيك من الغرباء؟ فذرفت عيناي فقلت: لا إن شاء الله، وأشهدت الله تعالى في نفسي في تلك الحال، على أني لا آخذ على التعليم والإقراء والتحديث أجراً، ولا أبخل بعلمي على أحد، وأبذله حسبة، فكان كما قال، ويقعد لطلبة العلم من أول النهار إلى آخره.

قال: وكان الشيخ - رحمه الله - لا يرى طول هاره إلا كاتباً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مطالعاً له، أو مشتغلاً به، أو مصغياً إلى قراءة القرآن وطلبة العلم. هكذا كان دأبه بالنهار، ويجعل ليلته ثلاثة أثلاث، يكتب في ثلث، ويتفكر في ثلث، وينام في ثلث، وكان كثيراً ما يقول عند انتباهه من النوم: يا كريم يا كريم أكرمنا وكان من كرامته على الاس وإقبال الخلق عليه، وتبركهم به، أنه كان يصعب عليه المرور يوم الجمعة في مضيه ورجوعه، لازدحام الخلق عليه. وكان جماعة من الشبا يتحلقون حواليه، يدفعو عنه زحمة الناس وهو يمر في وسطهم مطرقاً، لا يشتغل بأحد وهو يقول: يا من أظهر الجيمل وستر على القبيح.
قال: سمعت العدل عمر بن محمد يقول: دخلنا على الإمام الحافظ أبي العلاء - رضي الله عنه - وهو يكتب، فقعدنا عنده ساعة، فوضع ما في يده، وقام ليتوضأ فنظرا فيما كتب، فإذا هو قد بيض كل موضع فيه اسم من أسماء الله تعالى، أو ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعجبنا من ذلك، فلما رجع سألناه عن ذلك فقال: إني لما كنت أكتب ذلك شككت في الوضوء، فما جوزت أن أكتب بيدي أسماء الله تعالى، أو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا شاك في الوضوء. وكان الشيخ - رحمه الله - إذا نزل بالناس شدة أو بلاء، يجيء إليه الناس ويسألونه الدعاء فيقول: اللهم إني أخاف على نفسي أكثر مما يخافون على أنفسهم. وكان كثيراً ما يقول: ليتني كنت بقالاً أو حلاجاً، ليتني نجوت من هذا الأمر رأساً برأس، لا علي ولا ليا. قال: وسمعت والدي يحكي عن الإمام عبد الهادي بن علي - رحمة الله عليه - أنه قال: كنت أمشي يوماً مع الشيخ الإمام الحافظ - رحمه الله - في الشتاء في وحل شديد في رجليه مداس خفيف، يكاد يدخل فيها الطي، فقلت له يا أخي: لو لبست مداساً غير هذا يصلح للشتاء فقال: إذا لبست غيرها لهت عيني عن النظر إليها، فربما نظرت إلى منكر أو فاحشة، وفي دوام نظري إليها وحفظي لها عن الوحل، شغل عن ذلك وحفظ للبصر. قال: وكراماته مشهورة بين الناس، منها ما كتب به إلى الشيخ أبو

عبد الله محمد بن إبراهيم المقرئ قال: سمعت الأستاذ بهلة الطحا يقول: حملت أحمال الحنطة من دار الشيخ - رضي الله عنه - لأطحنها لأهله، فلما طحنتها ووضعت بعضها على بعض، قصد بعض من في الطاحونة من المستحقين أن يأخذ شيئاً من ذلك الدقيق، ليخبز منه رغيفاً، فصحت عليه ومنعته من الأخذ، فلما رددت الأحمال إلى دار الشيخ من الغد، تبسم الشيخ في وجهي وقال: ويلك يا بهلة، لم منعت الرجل أن يأخذ قبضات من الدقيق؟ فتحيرت من قوله: وقبلت في الحال رجليه، وتبت على يديه، واستغفرت الله عز وجل عما سلف مني من الذنوب، وصرت معتقداً في كرامات أولياء الله تعالى.

قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن عمر يقول: كنت يوماً في خدمة الشيخ - رضي الله عنه - نأكل الغداء، فدق الباب داق، فقمت وفتحت له الباب. فإذا بالشيخ الصالح مسعود النعال، فاستأذنت له، فدخل وقعد عند الشيخ إلى الطعام. فلما كان بعد ساعة نظر إلى مسعود وقال يا مسعود: لو أن النطفة التي قدر الله عز وجل في سابق علمه، أن يخلق منها خلقاً صبت على الأرض، لظهر من ذلك الخلق. فلما سمع مسعود النعال هذا الكلام انزعج وبكى وصاح. فتعجبنا من تلك الحالة فلما سكن، سألته عن سبب انزعاجه وتواجده من كلام الشيخ. فقال لي: اعلم أني تزوجت امرأة منذ سنين كثيرة، وما رزقت منها ولداً، وأني جئت اليوم لأسأل منه الدعاء، حتى يرزقني الله عز وجل ولداً صالحاً. فقبل سؤالي إياه حدثني بما في قلبي، وأظهر لي سري، وأسمعني ما سمعتم، قال: ثم دعاه الشيخ - رضي الله عنه - ودعا له، وسأل الله عز وجل له الولد، وناوله شيئاً من بقية طعامه وقال: أطعمها أهلك.

قال: ثم رأيته بعد ذلك بمدة، فقال لي: قد رزقني الله عز وجل، والحمد لله ابناً وبنتاً ببركة دعاء الشيخ وهمته.

قال: وسمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار. بن محمد بن عبد الغفار، وكان خال ولد الشيخ - رضي الله عنه - يقول لي: هل علمت سبب وفاة أختي، يعني التي كانت حليلة الشيخ - رحمة الله عليهما - قلت: لا. قال:

قالت أختي: كان للشيخ في الدار بيت مختص به لا يدخله غيره، وكا يأذن لي في بعض الليالي بدخولي فيه، وفي أكثر الأوقات وأغلب الليالي، يغلق الباب على نفسه ويخلو فيه بنفسه، وأبيت أنا في الدار وحدي، فاشتد ذلك علي، حتى أفلق نهاري، وأسهر ليلي. فبينا أنا متفكرة في بعض تلك الليالي، إذ قلت في نفسي: لم لا أقوم فأرتقي الرواق، وأنظر إليه من كوة البيت لأقف على حاله? فقمت وارتقيت الرواق، فقبل بلوغي الكوة رأيت نوراص عظيماً، وضياء ساطعاً من البيت أضاء منه كل شيء، فتقدمت ونظرت في البيت، فرأيت الشيخ جالساً في مكانه، وحوله جماعة يقرءون عليه، وكنت أرى سوادهم، وأسمع حسهم، غير أني لا أرى صورهم. فهالني ذلك، ووقعت مغشياً علي لا أشعر شيئاً، إلا أني رأيت الشيخ واقفاً على رأسي، فأقامني وتلطف بي، وقال لي: ماذا دهاك? فقصصت عليه قصتي. فقال لي: كفي عن هذا، ولا تخبري بما رأيت أحداً من الناس، إن كنت تريدين رضاي. فقبلت منه ذلك، وكتمت سره حتى أمرضني، وحملت مريضة إلى دار أبي.

قال الإمام أبو عبد الله: وقال لي الشيخ أبو بكر، واشتد عندا مرضها، وكنا نسألها عن سبب مرضها، وكانت تعلل بأشياء إلى أ وقعت في هول الموت، وسياق النزع فنظرت إلينا وبكت، ثم قالت: أوصيكم بزوجي أبي العلاء واسترضائه، والآن بدا لي أن أخبركم بسبب موتي، ثم قصت علينا هذه القصة، وفارقت الدنيا - رحمها الله -.قال: وسمعت الشيخ أبا العلاء أحمد بن الحسن الحداد العارف يقول: سمعت الشيخ عمر بن سعد بن عبد الله بن حذيفة، من نسل حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول: كنت مع الحافظ جزءاً من مسموعه وقرأه عليه، ثم سلمنا عليه وارتحلنا من عنده، فوصلنا إلى نهر عظيم، فلما عبرنا النهر، وقع ذلك الجزء منا وضاع، وضاق قلب الحافظ لذلك ضيقاً شديداً. فلما كان بعد ذلك بأيام، استقبلنا رجل حسن الوجه، حسن الشارة، وسلم علينا، ثم أقبل على الحافظ وقال: ما الذي أصابك? وما سبب حزنك? فقص عليه الحافظ قصة الجزء وكيفية ضياعه، فقال:

خذ القلم واكتب عني جميع ما ضاع عنك في ذلك الجزء، وأخذ الحافظ القلم متعجباً ينظر إليه، وهو يملي والحافظ يكتب إلى أن فرغ، فلما فرغ الحافظ أخذ ببعض ثيابه فقال: أنشدك الله من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر، وبعثت إليك لهذا الأمر. ثم غاب عنا فلم نره.

سمعت الشيخ الصالح سنقر بن عبد الله غلام شيخنا أبي طاهر محمد بن الحسن، بن أحمد العطار - رحمه الله - ابن الشيخ - رضي الله عنه - يقول: إني خدمت الشيخ - رضي الله عنه - سنين كثيرة، فرأيت العجائب الكثيرة في خلواته. منها. أنه قام ليلة ليتوضأ، فقال لي استق الماء من البئر فجئت وأرسلت الدلو فيها، فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر نظرت فيها، فإذا الدلو مملوء ذهباً أحمر، أضاء الدار حمرته، فصحت صيحة عظيمة. فقال لي أيها الشيخ: ماذا أصابك؟ فأريته الدلو، فاسترجع ثم استغفر، وقال لي: اقلب الدلو في البئر، فإا نطلب الماء لا الذهب. قال: فقلبتها ثم أخذ الدلو من يدي واستقى الماء وقال لي: يا سنقر، إياك إياك أن تخبر بما رأيت أحداً من الناس ما دمت حياً.

قال: رأيت بخط الثقة ذكر أنه نقل من خط الشيخ أبي الفتح محمد بن الحسين بن وهب: سمعت الشيخ أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم، بن الحسين بن جعفر الجوزقاني يقول: كنت نائماً ذات ليلة، فرأيت فيما يرى النائم، كأن الناس يهرعون إلى رباط أبي الفرج، أحمد بن علي المقرئ - رحمة الله عليه - قال: فسألت ما لهؤلاء؟ فقالوا: إن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، نزل في رباط المقرئ، ففرحت وأسرعت، وقصدت الإمام الحافظ أبا العلاء وأخبرته بذلك، فلما سمع مني فرح ونشط، وقام وأخذ جزءاً واحداً من أحاديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وجاء معي حتى دخلنا الرباط، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في الرباط، ورأينا أنس بن مالك عن يساره، فقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه، وجلسنا بين يديه، فاستأذنه أبو العلاء في قراءة ذلك الجزء عليه، فأذن له فابتدأ أبو العلاء بالقراءة، وقرأ ذلك الجزء قراءة حسنة مبينة صحيحة، ورأيته صلى الله

عليه وسلم يتبسم من الفرح مرة إلى وجهه، ومرة إلى وجهي فلما قرأ الجزء انتبهت من النوم، فقمت وتوضأت وصليت الصلاة شكراً لله تعالى على ما رأيت في المنام.

قال: وسمعت الشيخ عمر بن أبي رشيد بن طاهر الزاهد يقول: رآني يوماً الشيخ علي الشاذاني صاحب الكرامات الظاهرة. فقال لي يا عمر: اذهب إلى الحافظ أبي العلاء وقبل جبنينه عني، فإني رأيت الليلة في المنام أن من قبل جبهته موقناً محتسباً - غفر الله له -.

قال: وسمعت الشيخ الزاهد وكان من الأبدال، إن شاء الله يقول: سمعت الشيخ سعيداً المتقي وكان من الصالحين يقول: رأيت جنات عدن مفتوحة أبوابها، وإذا الناس كلهم وقوف ينظرون دخول شخص، فلما قرب من الباب وكاد يدخل جنة عدن، سألت من هذا الشخص الذي يدخل جنة عدن قبل دخول الخلائق؟ فقالوا: الحافظ أبو العلاء ومن كان يحبه في الله عز وجل، فتضرعت وبكيت وقلت: وأنا أيضاً ممن يحبه في الله عز وجل، دعوني أدخل. فقال شخص: صدق: دعوه يدخل، فدخلت مع القوم وهم يقولون:)أدخلوها بسلام آمنين(.قال المصنف: وحكى لي الشيخ الإمام أبو عبد الله زبير بن محمد بن زبير المشكاني - رحمه الله - فقال: رأيت ليلة من الليالي في المنام كأن الإمام أبا العلاء - رضي الله عنه - يمشي إلى الحج، وهو جالس في المهد مربع، والمهد يمشي في الهواء بين السماء والأرض، فعدوت خلفه، فنزل المهد من السماء إلى الأرض وشيء مثل الوتد، وخرج من ذلك المهد فتعلقت به، فقام المهد يمشي في الهواء وأنا متعلق به حتى وصلنا الفرات، فأخذني العطش فقلت للحافظ: إني عطشان أريد أن أشرب، فقال لي: تعال حتى تشرب من زمزم، فمشيا حتى وصلنا مكة فدخلت الحرم، وشربت من ماء زمزم، ورأيت في الحرم خلقاً كثيراً، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحافظ أبي العلاء، جالساً على تل في الحرم أعلى من سطح الحرم، وما معهما أحد غيرهما، وهما يستقبلان الكعبة، وينظران إلى فوق، ورأيت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يتكلم مع أحد نحو فوق الكعبة، وإذا أراد أن يتكلم قام إليه، ورأيت شيخنا الحافظ أبا العلاء شاخصاً ببصره إلى الذي يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فوق الكعبة، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فقلت في نفسي: أذهب فأبصر من الذي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم معه؟ ويظر إليه الحافظ أبو العلاء، فتقدمت وظرت إلى فوق الكعبة، فرأيت عرش الرحمن - جل جلاله - واقفاً فوق الكعبة، ورأيت الرحمن - جل جلاله - عليه، فأشار إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن اسأل الله تبارك وتعالى، فسألت الله تعالى أربع حاجات، فسمعته يقول بالفارسية كردم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ففعل، فنويت الرجوع، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية: شكرانه كو. فوقفت وقرأت)قل هو الله أحد(خمسمائة مرة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن، فرجعت وتركت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع الحافظ أبي العلاء على ذلك التل، وينظران إلى الله عز وجل.

وقد مدحه أفاضل عصره بأشعار كثيرة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، وقد خرج الشيخ فحجبت الشمس غيماً فقال في ذلك:

ظهرت فأخفت وجهها وشوقاً إلى مرآك
الشمس هـيبة أسبلت الـدمـعـا
ولما رأت مسعاك كفت لئلا ترى شيئاً يصدك
شـؤونـهـا عن مسـعـى
وقد كان ذاك القـطـر على أن مولى الجمع
أيضـاً دلالة قد رحم الجمعا
ولا شـك أن الـلـه حللت بها قطعاً أقول
يرحـــم أمة بذا قـطـعـا

وقد مدحه أبو عبد الله المغربي هذا بقصائد حسان، وقد أفردها الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود، بن أبراهيم، بن الفرج، مؤلف هذه المناقب، - رحمه الله - والأصل يشتمل على ستة أجزاء بخطه كلها - رحمه الله - وقد ذكر فيه بعد ذكر القصائد التي ذكرتها: سمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد بن هبة الله، بن عبد الله بان سهل - رحمه الله - يقول: كان أبو عبد الله المغربي بأصفهان في مدرسة النظام وهو يقرأ القرآن، فلما بلغ قوله - عز وجل -)واعبد ربك حتى يأتيك اليقين(قام وصرخ، وترك أمتعته وكتبه، وأقبل إلى الصحراء هائماً، وما ربي بعد ذلك، ولا سمع له خيرلا ولا أثر.

وأنشد موفق بن أحمد المكي الخطيب الحافظ في مدحه:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافـظ بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ

عمرو بن بحر بحره من جـدول متشعب من بحر بحر الحافـظ

ما إن رأينا قبل بحرك مـن لـه بحر طفوح كالأتـي الـلافـظ

أحييت ما قد غاض من سنن العلا والعلم قبلك بالـيراع الـغـائظ

بهظ البرايا عبء أدنى علـمـه أعظم به من عبء علم باهـظ

كم واعظ، لي أن أجاوز هجـره لو كان ينجع في وعظ الواعـظ

غاظ الأعادي جاهه لعـلـومـه فرددت غيظهم بهـذا الـقـائظ

وأنشد أيضاً في مدحه:

وليس اعتراف الحاسدين بفضلـه لشيء سوى أن ليس يمكنهم جحد

بدا كعمود الفجر ما فيه شـبـهة فهل لهم من أن يقروا به، بـد?

وأنشد الإمام العلامة أفضل الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك، بن عبيد الله بن أحمد بن سعيد الدمانجير الكرخي، - رحمة الله عليه - في مدحه:

صبراً فأيام الـهـمـوم تـزول والدهر يعطيك المنـى وينـيل

ويئوب من فلك السعادة ثاقـبـاً قمر الآماي والحـوس أفـول

لا تـيأسـن إذا ألـم مـلـمة إن الشدائد تعتـري وتـحـول

والفضل لا يزرى به عدم الغنى أوليس يحسن في الرماح ذبول

ما إن يضر الغضب بعد مضائه يوم القراع إذا عرتـه فـلـول

لا تشتغل بالعسر واطو مشمـراً بسط الفيافي والشباب مـقـيل

والبس سواد الليل مـرتـدياً بـه إن التجلد للـرجـال جـمـيل

حتى تنيخ العيس في كنف العلا حيث التحرم بالنجـي كـفـيل
كنف الإمام القرم قطب الدين من صدر الزمان أبي العلاء سميدع جوب الفلا إلا إلـيه فـضـول غر المعالي فـي ذراه تـقـيل

وهي طويلة.

ولموفق الدين مكي خطيب خوارزم أشعار كثيرة في مدحه. منها:

بقيت بقاء الدهر في الناس خـالـداً أيا خير من في الأرض خالاً ووالدا
لتروي أحاديث النـبـي مـحـمـد وتحيي مسانيداً وتزوي مـعـانـدا
فهذا دعائي بالحجون وبالـصـفـا وهذا مرامي حيثما كنت سـاجـدا

قال: وسمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول: لما مات فلان أحد أصدقائه ذكر اسمه ونسيه: شق علي موته، وأثر في وفاته، فكنت بعد ذلك أكتب كل سنة كتاب الوصية، وأنا سمعت منه حينئذ صغيراً وهو يقول: غداً من شهر رجب شهر الله الأصم، وأنا أريد أن أجدد مع ربي عهداً، وهذا كتاب وصيته: "بسم الله الرحمن الرحيم" أخبرنا عبد القادر اليوسفي، وهبة الله بن أحمد الشيباني قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل - رضي الله عنهما -، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:)ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده(. وأخبرنا الشيخ أبو القاسم، زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو عثمان سعد بن محمد النجيرمي، أخبرنا أبو الخير الحنبلي، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن عقيل قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن حفص بن جعفر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم العصبي، حدثنا خالد بن يزيد الأنصاري، حدثني

محمد بن أبي ذئب، عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:)من لا يحسن الوصية عند الموت، كان نقصاً في مروءته وعقله(. قيل: وكيف يوصي؟ قال: يقول:)اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب والقدر حق، والميزان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القول كما حدثت، وأن القرآن كما أنزلت، جزى الله محمداً صلى الله عليه وسلم عنا خير الجزاء، وحيا محمداً منا بالسلام. اللهم يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمي إلهي وإله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، وأتباعد من الخير، فآنسني في قبري من وحشتي، واجعل لي عهداً يوم ألقاك(.ثم يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصية في القرآن:)لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً(. فهذا عهد الميت. وهذه وصيته سنة إحدى وعشري وخمسمائة. وقلتها من خطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد بن محمد العطار، طوعاً في صحة عقله وبدنه، وجواز أمره، أوصى وهو يشهد)أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين(. ويشهد أن محمداً عبده ورسوله)أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون(. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، ويشهد أن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل وعز جامع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ويشهد أن صلاته ونسكه، ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين، وأنه رضي بالله رباً،

وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالمؤمنين إخواناً، وأنه يدين لله عز وجل بمذهب أصحاب الحديث، ويتضرع إلى الله عز وجل، ويتوسل إليه بجميع كتبه المنزلة، وأسمائه الحسنى، وكلماته التامات، وجميع ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين أن يحييه على ذلك حيا، ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يوم الدي، وأوصى نفسه وخاصته وقرابته، ومن سمع وصيته بتقوى الله، وأن يعبدوه في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، ويذكروه في الذاكرين، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخاز في جميع تركته، وما يخلفه بعده، وفي قضاء ديونه، واقتضاء ديونه وإنفاذ وصاياه، وذكره في ذلك بتقوى الله وإيثار طاعته، وحذره أن يبدل شيئاً من ذلك أو يغيره، وقد قال الله تعالى:)فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه، إن الله سميع عليم(.
وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن العطار، في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة، سنة إحدى وعشري وخمسمائة.
قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ - رضي الله عنه - قال: كنا قعوداً في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقنه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيبته، ونحذر سوء الأدب، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس. فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارئ وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا لذلك وحمدا الله عز وجل، ثم جئ إليه بقدح فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته، فولى وجهه ورد القدح بفيه، وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، رافعاً بها صوته وفاضت نفسه - رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه -. وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى، عام تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد، القائم مقامه، وخليفته على أولاده، وأصحابه

وأتباعه. - رحمه الله -.
والكتاب الذي يشتمل على مناقبه، كتاب ضخم جليل.
وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل لها على فضله ومرتبته - رحمة الله عليه -، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

الحسن بن أبي عباد، اليمني النحوي

من وجوه اليمن، كان يصحب الفقيه يحيى بن أبي الخير، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضاً يذكر في موضعه. وصنف الحسن هذا مختصراً في النحو مشهوراً بالمن، يقرؤه المبتدئون وهو قريب العهد، تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة. وهو القائل:

لعمرك ما اللحن من شيمتي ولا أنا من خطأ ألـحـن
ولكنني قد عرفـت الأنـا م فخاطبت كلاً بما يحسن

الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي

أبو نصر، شاعر رقيق الحواشي، مليح النظم، متمكن من القافية، كثير التجنيس، قلما يخلو له بيت من تصنيع وإحسان وبديع. كان في أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه، وشمله منهما الجاه، فخلصه الكامل الطبيب في أيام نظام الملك، بعد أن قبض عليه وأساء إليه، فإنه كان مستولياً على آمد وأعمالها، مستبداً باستيفاء أموالها. وكان نحوياً رأساً. وإماماً في اللغة يقتدى به. وصنف في الآداب تصانيف تقوم له مقام شاهدي عدل بفضله، وعظم قدره. منها: كتاب شرح اللمع كبير كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة. حدثني الشيخ الإمام موفق الدين أبو لابقاء يعيش ابن لعي بن يعيش النحوي قال: حدثي قاضي عسكر نور الدين محمود بن زنكي قال: قدم على ابن مروان صاحب ديار بكر شاعر من العجم يعرف بالغساني. وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه وينزله، ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره، ويصلح شعره، ثم يستدعيه. واتفق أن الغساني لم يكن أعد شيئاً في سفره، ثقة بقريحته، فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه بعمل بيت واحد وعلم أنه يستدعى ولا يليق أن يلقى الأمير بغير مديح، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد لم يغير فيها إلا اسمه. وعلم ابن مروان بذلك، فغضب من ذلك وقال: يجئ هذا العجمي فيسخر

منا? ثم أمر بمكاتبة ابن أسد، وأمر أن يكتب القصيدة بخطه ويرسلها إليه، فخرج بعض الحاضرين، فأنهى القضية إلى الغساني وكان هذا بآمد. وكان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن أسد كتاباً يقول فيه: إي قدمت على الأمير، فأرتج علي قول الشعر مع قدرتي عليه، فادعيت قصيدة من شعرك استحساناً لها وعجباً بها، ومدحت بها الأمير. ولا أبعد أن تسأل عن ذلك، فإن سئلت فرأيك الموفق في الجواب فوصل غلام الغساني قبل كتاب ابن مروان. فجحد ابن أسد أن يكون عرف هذه القصيدة، أو وقف على قائلها قبل هذا. فلما ورد الجواب على ابن مروان، عجب من ذلك واساء إلى الساعي وشتمه وقال: إنما قصدكم فضيحتي بين الملوك، وإنما يحملكم على هذا الفعل الحسد منكم لمن أحسن إليه? ثم زاد في الإحسان إلى الغساني، وانصرف إلى بلاده، فلم يمض على ذلك إلا مديدة حتى اجتمع أهل ميافارقين إلى ابن أسد، ردعوه إلى أن يؤمروه لعيهم، ويساعدوه على العصيان، وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وحده، وإسقاط اسم ابن مروان من الخطبة، فأجابهم إلى ذلك، وبلغ ذلك ابن مروان، فحشد له وزل على ميافارقين محاصراً فأعجزه أمرها، فأفذ إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر المذكور آنفاً، وكان قد تقدم عند نظام الملك والسلطان، وصار من أعيان الدولة، وصدقوا في الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة، وقبض على ابن أسد، وجئ به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغساني وشدد العناية في الشفاعة فيه، فامتنع ابن مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته وقال: إن ذنبه وما اعتمده من شق العصا، يوجب أن يعاقب عقوبة من عصى، وليس عقوبة غير القتل. فقال: بيني وبين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتي فيه، وأنا أتكفل به ألا يجري منه بعد شيء يكره. فاستحيى منه وأطلقه له، فاجتمع به الغساني وقال له: أتعرفني? قال: لا والله، ولكنني أعرف أنك ملك من السماء، من الله بك علي لبقاء مهجتي. فقال له: أنا الذي ادعيت قصيدتك وسترت علي، وما جزاء

الإحسان إلا الإحسان. فقال ابن أسد: ما رأيت ولا سمعت بقصيدة جحدت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادعاها غير هذه. - فجزاك الله عن مروءتك خيراً -، وانصرف الغساني من حيث جاء.

وأقام اب أسد مدة ساءت حاله، وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، ولم يقدم أحد على مقاربته ولا مرافدته، حتى أضر به العيش، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان، وتوصل حتى وصلت إليه. فلما وقف ابن مروان عليها غضب وقال: ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس، حتى يريد منا الرفد والمعيشة، لقد أذكرني بنفسه، فاذهبوا به فاصلبوه، فذهبوا به فصلبوه، - رحمه الله -.

ومن شعر الحسن بن أسد الفارقي - رحمه الله -:

بنتم فما كحل الكـرى لي بعد وشك البين عينا

ولقد غدا كلفي بـكـم أذناً علي لكم وعـينـا

فأسلت بعد فراقـكـم من ناظري بالدمع عينا

فحكت مدامعها الغـزا ر من الغيوم الغر عينا

جادت على أثر شفـى عيناً لهم لم تلق عـينـا

من كل واضحة التـرا ئب سهلة الخدين عينـا

غراء تحسب وجهـهـا للشمس حين تراه عينا

أمسيت في حبي لـهـا عبداً أضام وكنت عـيا

لا قر ركب بـالـركـا ئب إذ يهن سرين عينا

غاظ الحسود لنا الوصـا ل فلا رعاه الله عينـا

فذممت حرفاً عـاينـت عيناي في أولاه عينـا

كانت تناصفنـا بـصـا في الود لا ورقاً وعينا

لهفي وقد أبصرت فـي ميزان ذاك الوصل عينا
كم من أخ فينـا وعـى ما لم نكن فيه وعـينـا
ومصاحب صنفت فـي غدراته للعين عـينـا

وقال في الشمعة:

وندیمة لي في الظلام وحـيدة مثل مجاهدة. كمثل جهـادي
فاللون لوني، والدموع كأدمعي والقلب قلبي، والسهاد سهادي
لا فرق فيما بيننا لو لم يكـن لهبي خفياً وهو منهـا بـادي

وله أيضاً:

أريقاً من رضابك أم رحـيقـا رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهـبـاء أسـمـاء ولـك جهلت بأن في الأسماء ريقـا
حمتني عن حميا الكأس نفـس إلى غير المعالي لن تتـوقـا
وما تركي لها شـح ولـكـن طلبت فما وجدت لها صديقـا

وله أيضاً:

وإخوان بواطنهـم قـبـاح وإن كانت ظواهرهم ملاحا
حسبت مياه ودهم عـذابـاً فلما ذقتها كانت مـلاحـا

وله أيضاً:

ووقت غنمناه من الدهر مسعـد معار، وأوقات السرور عواري
معانيه مما نبتغيه جمـيعـهـا كواس ومما لا نريد عـواري
أدار علينا الكاس فيه ابن أربـع وعشر له بالكـاس أي مـدار!
تناولتها منه بـكـف كـأنـمـا أناملها تحت الزجاج مـداري

وله أيضاً:

تيم قلبـي شـادن أغـيد ... ملك فالناس له أعـبـد
لو جاز أن يعبد في حسنه ... وظرفه كنت له أعبـد

وله أيضاً:

هويت بديع الحسن للغصـن قـده ... وللظبي عيناه وخـداه لـلـورد
غزال من الغزلان لكن أخـافـه ... وإن كنت مقداماً على الأسد الورد

وله أيضاً:

ولرب دان منك يكره قـربـه ... وتراه وهو عناء عينك والقذى
فاعرف وخل مجرباً هذا الورى ... واترك لقاءك ذا كفافاً والق ذا

وله أيضاً:

أيا ليلة زار فيهـا الـحـبـيب ... أعيدي لنا منك وصلاً وعـودي
فإني شهدتك مستـمـتـعـاً ... به بـين رنة نـاي وعـــود
وطيب حديث كزهر الـريـاض ... تضوع ما بين مسـك وعـود
سقتـك الـرواعـد مـن لـيلة ... بها اخضر يابس عيشي وعودي
وفي لي بوعـد ولا تـخـلـف ... يه إخلاف دهر به في وعودي
فلما تقضيت أمـرضـتـنـي ... فزوري مريضك يوماً وعودي

وله أيضاً:

يا من حكى ثغره الدر النظيم ومن ... تخال أصداغه السود العنـاقـيدا
إعطف على مستهام ضم من أسف ... على هواك وفي حبل العنـاقـيدا

وله أيضاً:

بنتم فما لحظ الطرف الولوع بكم ... شيئاً يسر به قلبي ولا لمـحـا
فلو محا فيض دمع إنسان عين إذاً

من تكاثـره إنسانه لمـحـا

وله أيضاً:

أياكم أعاني الوجد ولست أراه لي
في كل صاحب كوجدي واجـدا
إذا كنت ذا عدم وتلقاه لي سلماً إذا
فحرب مجانـب كنت واجـداً
أحاول في دهري وهيهات خلا صافياً
خليلاً مصافـياً لست واجدا

وله أيضاً:

بعدت فأما الطرف لشوقي وأما الطرف
مني فساهـد منك فراقد
فسل عن سهادي ستشهد لي يوماً
أنجم الليل إنها بذاك الفراقـد
قطعتك إذ أنت وواصلني قـوم إلـى
القريب لشقوتـي أبـاعـد
فيأهل ودي إن أبي زمان، فأنتم لي به
وعد قربنـا إن أبي عدوا

وله أيضاً:

لا يصرف الهم إلا أو منظر حسن تهواه
شدو محسنة أو قـدح
والراح للهم أنفاها منها ودع أمة فس
فخذ طرفـاً شربها قدحوا
بكر تخال إذا ما المزج سقاتها أنهم زنداً بها
خالطها قـدحـوا

وله أيضاً:

بعدت فقد اضرمت ما ببعدك ناراً شجو
بين أضلعي قلبي وقـودهـا
وكلفت نفسي قطع تكل بها هوج
بـيداء لـوعة المهاري وقودهـا

وله أيضاً:

تجلد على الدهر عليك الإله من الرزق
واصبر لكل ما أجرى
ولا يسخطنك صرف فتعدم إذ ذاك حـظـاً
القضـاء وأجـرا
فما زال رزق امرئ بعيداً إليه دجى اللـيل
طـالـب يسـرى

توقع إذا ضاق أمـر عـلـي ك خيراً فإن مع العسر يسـرا

وله أيضاً:

قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمنـاً فمذ أباح الهوى منه الحمى مرضا

فكم سخطت على من كان شيمـتـه وقد أبحت له فيك الحمـام رضـا

يا من إذا فوقت سهماً لـواحـظـه أضحى لها كل قلب قلب غرضـا

أنا الذي إن يمت حباً يمـت أسـفـاً وما قضى فيك من أغراضه غرضا

ألبست ثوب سقام فـيه صـار لـه جسمي لرقته من سقمه حـرضـا

وصرت وقفاً على هم يجـاذبـنـي أيدي الصبابة فيه كلمـا عـرضـا

ما إن قضى الله شيئاً في خليقـتـه أشد من زفرات الحب حين قضـى

فلا قضى كلف نحباً فأوجـعـنـي أن قيل إن المحب المستهام قضـى

وله أيضاً:

نراك يا متلف جسمـي ويا مكثر إعلالي وأمراضي

من بعد ما أضنيتني ساخطاً علي في حبك أم راضي?

الحسن بن بش بن الآمدي، النحوي الكاتب

أبو القاسم صاحب كتاب الموازنة بي الطائيي. كان حسن الفهم، جيد الدراية ولارواية، سريع الإدراك. رأيت سماعه على كتاب القوافي لأبي العباس المبرد، وقد سمعه على نفطويه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ثم وجدت خطه على كتاب تبيين قدامة بن جعفر وفي نقد الشعر، وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه، وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة. وقال ابن النديم في الفهرست الذي ألفه في سة سبع وسبعين وثلاثمائة. هو من أهل البصرة، قريب العهد، وأحسبه يحيا إلى الآن، ثم وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده: أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي تاريخ هلال بن المحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين: مات الحسن ابن بشر الآمدي بالبصرة.

وقال أبو القاسم المحسن التنوخي: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، كاتب القضاء من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في الأدب، ودراية وحفظ، وكتب مصنفة قال: حدثني أبو إسحاق الزجاج قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير، فغنت بدعة جارية عريب:

أدل فأكرم به من مـدل ومن ظالم لدمى مستحل
إذا ما تعزز قابـلـتـه بذل وذلك جهد المقـل
وأسلمت خدي له خاضعاً ولولا ملاحته لـم أذل

فأدت فيه صنعة حسنة جداً، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة جداً والشعر فأفرط. فقالت بدعة يا مولاي: إن لهذا الشعر خبراً حسناً أحسن منه، قال: وما هو? قالت هو لأبي حازم القاضي. قال: فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف القاضي أبي حازم وورعه وتقبضه. فقال الوزير: بالله يا أبا إسحاق، اركب إلى أبي حازم واسأله عن هذا الشعر وسببه. فباكرته وجلست حتى خلا وجهه ولم يبق إلا رجل بزي القضاة عليه قلنسوة، فقلت: بيننا شيء أقوله على خلوة? فقال: ليس هذا ممن أكتمه شيئاً. فقصصت عليه الخبر، وسألت عن الشعر والخبر، فتبسم ثم قال: هذا شيء كان في الحداثة قلته في والدة هذا، وأومأ إلى القاضي الجالس، وإذا هو ابنه وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة، ولقلبي مالكة، فأما الآن، فلا عهد لي بمثله منذ سنين، ولا عملت شعراً منذ دهر طويل، وأنا أستغفر الله مما مضى. قال: فوجم الفتى حتى ارفض عرقاً، وعدت إلى القاسم فأخبرته، فضحك من خجل الإبن وقال: لو سلم من العشق أحد لكان أبا حازم مع تقبضه، وكنا نتعاود ذلك زماناً.

قال المؤلف: كان هذا الخبر بترجمة إسحاق الزجاج أحرى، إلا أن في أوله من إيضاح حال الآمدي ما ساق باقي الحديث.

قال أبو علي: كان قد ولي القضاء بالبصرة - في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة - رجل لم يكن عندهم بمزلة من صرف به، لأنه ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، فقال فيه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي، كاتب القاضيين أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد:

رأيت قلنـسـوة ث من فوق رأس
تـسـتـغـي تنادي خذوني

وقد قلعت وهي طوراً تـمـي ل من عن يسار ومن عن يمين
فطوراً تراها فـويق الـقـفـا وطوراً تراها فويق الجـبـين
فقلت لهـا أي شـيء دهـاك؟ فردت بقـول كـئيب حـزين
دهاني أن لست في قـالـبـي وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعبثوا بـمـزاح مـعـي وإ فعلوا ذاك بي قطـعـونـي
فقلت لها مر مـن تـعـرفـين من المنكرين لهذي الـشـؤون
ومن كان يصفع فـي الـدين لا يملء ويشتد فـي غـير لـين
ويلمح ملـئك كـيل الـتـمـا م إما على صحة أو جـنـون
ففارقـهـا ذلـك الإنـزعـاج وعادت إلى حالها في السكـون

وحدث ابن نصر قال: حدثت يوماً أبا الفرج الببغا الشاعر: أن أبا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب، كان منقطعاً إلى أبي العباس بن ماسرجس، فأنفذه مرة إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد عامل البصرة في بعض حاجاته، فعاد من عنده مغضباً لأنه لم يستوف له القيام عند دخوله، وأراد أبو العباس إنفاذه بعد أيام، فأبى وقال: لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني مملوءاً كيميا، كل مثقال منه إذا وضع على ألف مثقال صفراً صار ذهباً إبريزاً ما مضيت إليه، فأمسك عنه مغيظاً. وهذا زورق معروف بالبصرة، وحمله ثلاثمائة ألف رطل، وقد رأيت دواتي أبي العباس سهل بن بشر. وقد حكى له أن ابن علان قاضي القضاة بالأهواز، ذكر أنه رأى قبجة وزنها عشرة أرطال فقال: هذا محال. فقيل له: ترد قول ابن علان؟ قال: فإن قال ابن علان: إن على شاطئ جيحون نخلاً يحمل غضاراً صينياً مجزعاً بسواد أقبل منه؟ وقلت لأبي الفرج: وللناس عادات في المبالغات، وهذا من أعجبها. فقال لي: كان الآمدي النحوي صاحب كتاب الموازنة، يدعي هذه المبالغات على أبي تمام، ويجعلها استطراداً لعيبه إذا ضاق عليه المجال في ذمه، وأورد في كتابه قوله من قصيدته التي أولها: من سجايا الطلول ألا تجيبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العق د دماً أن رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء لـه إل لا الفظيعين ميتة ومشـيبـا

ثم قال: هذه من مبالغاته المسرفة. ثم قال أبو الفرج: هذه والله المبالغة التي يبلغ بها السماء. وله من الكتب: كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء،

كتاب نثر المنظوم، كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، كتاب في أن الشاعرين لا يتفق خواطرهما، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطإ، كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر، كتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين، كتاب في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه، كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر، كتاب معاني شعر البحتري، كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام، كتاب فعلت وأفعلت غاية لم يصنف مثله، كتاب الحروف من الأصول في الأضداد رأيته بخطه في نحو مائة ورقة، كتاب ديوا شعره نحو مائة ورقة. وقرأت في كتاب ألفه أحد بني عبد الرحيم الوزراء الذي مدحهم مهيار وغيره ولم يذكر اسمه قال: أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي عن أبيه أبي علي المحسن: أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة، وأنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش، والحامض، والزجاج، وابن دريد، وبان السراج وغيرهم اللغة والنحو. وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة. وكان يكتب بمدينة لاسلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده. وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، وبعدهما لقاضي البلد أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ويحضر به في مجلس حكمه، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة، ثم لزم بيته إلى أن مات. وكان كثير الشعر، حس الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات.

ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها. منها: كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام في عشرة أجزاء، وهو كتاب حسن وإ كان قد عيب عليه في مواضع منه، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره. والناس بعد فيه على فريقين: فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبهم لشعره. وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصبه، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن

أبي تمام، وتزيين مرذول البحتري. ولعمري إن الأمر كذلك، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام: أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين فتارة يقول: هو مسروق، وتارة يقول: هو مرذول، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك إلى غير ذلك من تعصباته، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله، لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام. وله أيضاً: كتاب الخاص والمشترك، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها، ولا ينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم، وما قصر في إيضاح ذلك وتحقيقه إلى غير ذلك من تصانيفه التي ذكرنا منها ما قدرنا عليه فيما تقدم. ومن شعره:

يا واحداً كان في الزمـان لا من يجاريه أو يدانـي?
دعني مـن نـائل جـزيل يعجز عن شكره لسانـي
فلست والله مستـمـيحـاً ولا أخا مطمع تـرانـي
وهب إذا كنت لي وهوبـاً من بعض أخلاقك الحسان

وقال في أبي محمد المافروخي وكان عالماً فاضلاً لا يجارى، لكنه كان تمتاماً:

لا تنظرن إلى تتـعـتـعـه إذا رام الكلام ولفظه المعتـاص
وانظر إلى المحكم التي يأتي بها تشفيك عند تطلـق وخـلاص
فالدر ليس ينـالـه غـواصـه حتى تقطع أنفس الـغـواص

وفي النشوار: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: قال أبو أحمد: طلحة بن الحسين بن المثنى، وقد تجارينا على خلوة للحديث عما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدبير كل واحد منهما لصاحبه في القبض عليه، وأشرت عليه بأ يهرب من البصرة ولا يقيم، وأنه يجب أن يغير زيه فقال: لست

أفكر في هذا الرجل لأمور كثيرة، منها: رؤيا رأيتها منذ ليال كثيرة. فقلت: ما هي؟ فقال: رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج من هذا الحائط، وأوأ بيده إلى حائط في ملجسه وهو يريدني فطلبته فأتيته في الحائط. فتأولت ذلك أن الثعبا البريدي وأني أغلبه. قال: فحين قال: فأتيته في الحائط، سبق إلى قلبي أن البريدي هو الثابت، وأن الحائط حياطة له دون أبي أحمد. فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض لما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير اصطرعا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وأنه أنفذ راكباً إلى البصرة، حتى لقي ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا كأنها له، وكتم ابن الزبير. فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، فلا أفسرها لك، فألح عليه فقال له: هذه للرؤيا يجب أن تكون لعبد الملك، فإن صدقتني فسرتها لك، فقال: هو كما وقع لك. فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك أربعة ملوك. فمضى الرجل إلى عبد الملك فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين فقال: ارجع إليه فقل له: من أين قلت ذلك؟ فرجع الرجل إليه، فقال له: إن الغالب في النوم هو المغلوب، وتمكنه على الأرض غلبه عليها، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض: هم ملوك يتمكنو من الأرض كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الآمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه، فكرهت ذلك لأنه كان يكون سوء أدب وقباحة عشرة، وعياً لنفسه، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو الحسن البوراني

معتزلي نحوي، ذكره المقدر عند ذكره لجماعة من المعتزلة النحويين فقال: وأبو الحسن البوراني، ناهيك تدقيقاً في مسائل الكتاب، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته.

الحسن بن الحسين بن عبيد الله

ابن عبد الرحمن، ابن العلاء بن أبي صفرة، المعروف بالسكري، أبو سعيد النحوي اللغوي، الراوية الثقة المكثر. مات في سنة خمس وسبعين ومائتين، ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتي. سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج

الرياشي، ومحمد بن حبيب، والحارث اب أبي أسامة، وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقاً سواهم. وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقاً يقرئ القرآن، وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه. وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة.

حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه، - وله في هذا الكتاب باب - قال: قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد، فحضر مجلس أبي زكريا الفراء وهو يومئذ شيخ الناس بها، فأملى الفراء باباً في التصغير قال فيه: العرب تقول: هو الهن وتصغيره الهنى وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وأنشد عليه قول القتال الكلابي:

يا قاتل لله صلعاناً أم الهنيين من زند
تجئ بهـم لها وارى

فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس، ولم يبق فيه أحد سوى الفراء، تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له: - أكرمك الله - أنا رجل غريب وقد مر شيء، أتأذن لي في ذكره؟ فقال اذكره. فقال: إنك قلت هو الهن، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وهذا جميعه كما قلت، ثم أنشدت قول الكلابي:

يا قاتل الله صلعاناً أم الهنيين من زد لها
تجئ بهم وارى

وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفراء: ومن أشياخك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعي. قال الفراء: وكيف أنشده أشياخك؟ فقال: زعموا أن الهنبر بوزن الخنصر: ولد الضبع. وأن القتال قال:

يا قاتل الله صلعاناً أم الهنيبر من زد لها
تجئ بهم وارى

على التصغير. ففكر الفراء ساعة وقال: - أحسن الله عن الإفادة بحسن الأدب جزاءك -.قال المؤلف ياقوت بن عبد الله: هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي اجوزي، وهو ما علمت من الحفاظ، إلا أنه غلط فيه من وجوه، وذلك أن السكري لم يلق الأصمعي ولا أبا عبيدة، ولا أبا زيد، وإنما روى عمن روى عنهم: كابن حبيب، وابن أبي أسامة، والخزاز وطبقتهم. ثم إن السكري ولد في سنة اثنتي عشرة ومائتين. وأبو عبيدة مات سنة تسع عشرة ومائتين وأبو زيد مات سنة خمس عشرة ومائتين. والأصمعي مات في سنة ثلاث عشرة ومائتين، أو خمس عشرة ومائتين، فمتى قرأ عليهم؟ وهذه الجماعة المذكورة هم في طبقة الفراء، لأن الفراء مات في سنة سبع ومائتين، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري، وأوردها خميس عنه سهواً، وأوردتها أنا كما وجدتها.

وللسكري من الكتب على ما ذكره محمد بن إسحاق النديم: كتاب أشعار هذيل، كتاب النقائض، كتاب النبات، كتاب الوحوش جود في تصنيفه، كتاب المناهل

والقرى، كتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء، منهم: امرؤ القيس، النابغة الذبياني، النابغة الجعدي، زهير، الحطيئة، لبيد، تميم بن مقبل، دريد بن الصمة، الأعشى، مهلهل، متمم بن نويرة، أعشى باهلة، الزبرقان بن بدر، بشر بن أبي حازم، المتلمس، الراعي، الشماخ، الكميت، ذو الرمة، الفرزدق. ولم يعمل شعر جرير، وعمل شعر أبي نواس، وتكلم على معانيه وغريبه في نحو ألف ورقة ولم يتم، وإنما عمل مقدار ثلثيه.

قال محمد بن إسحاق النديم: ورأيته بخط الحلواني، وكان الحلواني قريب أبي سعيد السكري. وعمل شعر قيس بن الخطيم، وهدبة بن خشرم، وابن أحمر العقيلي، والأخطل، وغير هؤلاء.

وأما أشعار القبائل فإنه عمل منهم: أشعار بني هذيل، أشعار بني شيبان، وبني ربيعة، أشعار بني يربوع، أشعار بني طيء، أشعار بني كنانة، أشعار بني ضبة، أشعار بجيلة، أشعار بني العين، أشعار بني يشكر، أشعار بني حنيفة، أشعار بني محارب، أشعار الأزد، أشعار بني نهشل، أشعار بني عدي، أشعار بني أشجع، أشعار بني نمير، أشعار بني عبد ود، أشعار بني مخزوم، أشعار بني سعد، أشعار بني الحارث، أشعار الضباب، أشعار فهم وعدوان، أشعار مزينة.

وحدث الصولي قال: كنت عند أحمد بن يحيى ثعلب فنعي إليه السكري فتمثل:

المـرء يخـلـق وحـده ... ويموت يوم يموت وحده

والناس بـعـد هـالـك ... هل من رأيت الناس بعده

الحسن بن الخطير

أبو علي الفارسي المعروف بالظهير، كان فقيهاً لغوياً نحوياً، مات بالقاهرة من الديار المصرية في شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. حدثني بجميع ما أورده عنه ههنا من خبره ووفاته، تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي بالقاهرة في سنة إثنتي عشرة وستمائة قال: كا الظهير يكتب على كتبه في فتاويه - الحسن النعماني -، فسألته ع

هذه النسبة فقال: أنا نعماني، أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها فقيل لي الفارسي، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادي. وكان عالماً بفنون من العلم، كان قارئاً بالعشر والشواذ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه، والفقه والخلاف، والكلام والمنطق، والحساب والهيئة والطب، مبرزاً في اللغة والنحو، والعروض والقوافي، ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم. وكان يحفظ في كل فن من هذه العلوم كتاباً، فكان يحفظ في علم التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء، وفي الفقه كتاب الوجيز للغزالي، وفي فقه أبي حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني نظم النسفي، وفي الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستاني، وفي اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد، كان يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة.

وقال لي: كنت أكتب ألواحاً وأدرسها كما أدرس القرآن، فحفظتها في مدة أربع عشرة سنة، وكان يحفظ في النحو كتاب الإيضاح لأبي علي وعروض الصاحب بن عباد، وكان يحفظ في المنطق أرجوزة أبي علي بن سينا، وكان قيماً بمعرفة قانو الطب له، وكان عارفاً باللغة العبرانية، ويناظر أهلها بها، حتى لقد سمعت بعض رؤساء اليهود يقول له: لو حلفت أن سيدنا كان حبراً من أحبار اليهود لحلفت، فإنه لا يعرف هذه النصوص بالعبرانية إلا من تدرب بهذه اللغة. وكان الغالب عليه علم الأدب، حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي، وهو شيخ الناس يومئذ بالديار المصرية، يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشي اللغة، وسأله يوماً بمحضري عما وقع في ألفاظ العرب على مثال شقحطب، فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعناه: أن الكلمة منحوتة من كلمتين، كما ينحت النجار خشبتين، ويجعلهما واحداً فشقحطب منحوت من شق وحطب. فسأله البلطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه، فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب تنبيه البارعي على المنحوت

من كلام العرب.
قال: ورأيت السعيد أبا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك، يسأله عن وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب، وهو يجيب عنها بشواهدها وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني قد وضعه على ذلك.
قال: وحدثني عن نفسه قال: لما دخلت خوزستان لقيت بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني، وكان مبرزاً في علوم النظر فأحب صاحب خوزستان أن يجمع بيننا للمناظرة في مجلسه، وبلغني ذلك، فأشفقت من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام، وعرفت أن بضاعته من اللغة نزرة، فلما جلسنا للمناظرة والمجلس غاص بالعلماء، فقلت له: نعرض الكلام إذاً أفرأيت الطلة إلى قرينها فارهاً في وبصان، أو الجساد إذا تأشب بأبي المغبث؟ فاحتاج إلى أن يستفسر ما قلت، فشنعت عليه وقلت: انظر إلى المدعي رتبة الإمامة يجهل لغة العرب، التي بها نزل كلام رب العالمين، وجاء حديث سيد المرسلي، والمناظرة: إنما اشتقت من النظير، وليس هذا بنظيري لجهله بأحد العلوم التي يلزم المجتهد القيام بها، وكثر لغط أهل المجسل، وانقسموا فريقين فرقة لي، وفرقة علي، وانفض المجلس على ذلك، وشاع في الناس أني قطعته. وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة، فاجتاز به الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف منزلته من العلم، فأحضره عنده، ورغبه في المصير معه، ليقمع به شهاب الدين أبا الفتح الطوسي لشيء نقمه عليه، فورد معه إلى القاهرة، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً، ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشمعة كل يوم، ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء، وصار له سوق قائم، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي في غد عيد، وعزم الظهير أن يسلك مع الطوسي وقت المناظرة طريق المجير من المغالطة، لأن الطوسي كان قليل المحفوظ، إلا أنه كان جريئاً مقداماً شديد المعارضة، واتفق أن ركب العزيز يوم العيد، وركب معه الظهير والطوسي، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام: أنت يا

مولانا من أهل الجنة، فوجد الطوسي السبيل فوجد الطوسي السبيل إلى مقتله فقال: وما يدريك أنه من أهل الجنة؟ وكيف تزكي على الله تعالى؟ فقال له الظهير: قد زكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة. فقال: أبيت يا مسكين إلا جهلاً، ما تفرق بين التزكية عن الله، والتكية على الله؟ وأنت من أخبرك أن هذا من أهل الجنة؟ ما أنت إلا كما زعموا: أن فأرة وقعت في دن خمر، فشربت فسكرت، فقالت أين القطاط؟ فلاح لها هر، فقالت: لا تؤاخذ السكارى بما يقولو. وأنت شربت من خمر دن نعمة هذا الملك فسكرت فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس ولم يجد جواباً وانصرف، وقد انكسرت حرمته عند العزيز، وشاعت هذه الحكاية بين العوام، وصارت تحكى في الأسواق والمحافل. فكان مآل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تركون الأسدي، يدرس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات. وكان قد أملى كتاباً في تفسير القرآن، وصل منه بعد سنين إلى تفسير قوله تعالى:)تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض(في نحو مائتي ورقة، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة. وله: كتاب في شرح الصحيحين على ترتيب الحميدي سماه كتاب الحجة، اختصره من كتاب الإفصاح في تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة، وزاد عليه أشياء وقع اختياره عليها، وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأنصار ولم يتم. وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحوشيها.

الحسن بن داود الرقي

أبو علي، لا أعرف من أمره إلا ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله الشمسي اللغوي. حدثنا النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط قال: حدثنا الناقط قال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال: قال لي أبو أحمد محمد بن موسى البردي: سمعت من الحسن بن داود أبي علي الرقي بسر من رأى، سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه كتاب الحلي، وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين، وأخرج إلى أبو أحمد الكتاب، فإذا

هو الكتاب الذي سماه أ؛مد بن يحيى فصيح الكلام. قال أبو الحسن الناقط: قال ابن كامل: وكان الحسن بن داود مؤدب عبيد الله ابن سليمان بن وهب وزير المعتضد.

الحسن بن داود بن الحسن القرشي

المعروف بالبقار المقرئ، يكنى أبا علي، أموي كوفي، قرأ على أبي محمد القاسم بن أحمد، المعروف بالخياط التميمي، المعروف بابن القملي أيضاً - عن أبي جعفر محمد ابن حبيب الشموني الكوفي، عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم - قراءة عاصم. ومات بالكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وصنف كتباً منها: كتاب قراءة الأعشى، كتاب اللغة في مخارج الحروف وأصول النحو، ذكر الحافظ أبو العلاء الهمذاني في كتاب القراءات العشر له في نسب البقار: الحسن بن داود بن الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي النحوي، وكان موصوفاً بحسن القراءة وطيب النغم جداً.

وقال ابن النجار في تاريخ الكوفة: ومن خيار رجال عاصم محمد بن غالب الصيرفي، وبينه وبين القملي اختلافات في حروف يسيرة، وقرأ عليه جماعة من أهل الكوفة منهم: أبو علي الحسن بن داود البقار، وكان حاذقاً بالنحو، لفاظاً بالقرآن، صاحب ألحان، وكان يصلي بالناس التراويح بالجامع بالكوفة، وصلى فيه ثلاثاً وأربعين سنة، وكان أ؛د المجودين.

الحسن بن رشيق القيرواني

مولى الأزد، كان شاعراً أديباً، نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات، وصنف في الرد عليه عدة تصانيف. كان أبوه رشيق رومياً، ذكر ذلك هو في الرد على ابن شرف، بعد ذكره نسب ابن شرف: هو اسم امرأة نائحة ثم قال: وأما أنا - فنضر الله وجه هذا الشيخ في، وأتم به النعمة علي -، فما أبغي به أبا، ولا أرضى بمذهبه مذهباً، رضيت به رومياً، لا دعياً، ولا بدعياً.

تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله بن جعفر القزاز، القيرواني النحوي اللغوي، وغيره من أهل القيروان. ومات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمائة: عن ست وستين سنة، ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره، ووسمه بالنموذج فقال في آخره: صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق، مولى من موالي الأزد، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة، وتأدب بها يسيراً. وقدم إلى الحضرة سنة ست وأربعمائة، وامتدح سيدنا - خلد الله دولته -.

قال المؤلف يعني المعز بن باديس بن المنصور سنة عشر بقصيدة أولها:

ذمت لعينك أعين قمر أقر لحسنه

الـغـزلان القـمـران
ومشت ولا والله ما مما أرتك ولا قضيب البـان
حقف النقا
وثن الملاحة غير أن تأبى علي عبـادة الأوثـان
ديانتـي

منها:

يا بن الأعزة من أكابر وسلالة الأملاك من قحطـان
حمـير
من كل أبلج واضح يضع السيوف مواضع التيجان
بلسـانـه

قال: ومن مدحه القصيدة التي دخل بها في جملته، ونسب إلى خدمته، فلزم الديوان وأخذ الصلة والحملان:

لدن الرماح لما من مهجة القيل أو
يسقي أسنـتـهـا من ثغرة البطل
لو أثمرت من دم لأورقت عنده سمر
الأعداء سمرقنـاً القنا الـذبـل
إذا توجه فـي أولـى لم تفرق العين بي
كـتـائبـه السهل والجبـل
فالجيش ينفض نفض العقاب جناحيه
حولـيه أسـنـتـه من البـلـل
يأتي الأمور على عجلان كالفلك الدوار
رفق وفـي دعة في مهثـل

قال: ومن رثائه:

أما لئن صح ما جاء ليكثرن من الباكـي
البـريد بـه أشـياعـي
مازلت أفزع من يأس حتى ترفع يأسي
ومن طمع فوق أطماعي
فاليوم أنفق كنز لما مضى واحد الدنيا
العمر أجمعه بإجماع

قال: ومن هجائه:

قالوا رأينا فراتاً لي ما يوجع الناس من
سـوجـعـه هجو إذا قذفا

وله من كتاب سر السرور:

معتقة يعلو الحباب فتحسبه فيها نثير
متونـهـا جـمـان
رأت من لجين راحة فطافت له من

لمديرها عسجد ببنـان

ومن غير كتابه له:

ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لم تترك لأيامها ذنبا

خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكـبـا

وملنا لتقبيل الثغور ولثمـهـا كميل جناح الطير يلتقط الحبا

قال الأبيوردي: هذا أحس من قول ابن المعتز:

كم مـن عـنـاق لـنـا ومـــن قـــبـــل مختـلـسـات حــذار مـــرتـــقـــب

نقر العصافير وهي خائفةمن النواطير يانع الرطب

وله أيضاً:

قد حنكت مني الـتـجـا رب كل شيء غير جودي

أبداً أقـول لـئن كـسـب ت لأقبضن بـيدي شـديد

حتـى إذا أثـريت عــد ت إلى السماحة من جديد

إن المقام بـمـثـل حـا لي لا يتم مع الـقـعـود

لا بـد لـي مـن رحـلة تدي من الأمل الـبـعـيد

وله أيضاً:

في الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مـس بـإضـــرار

كالعود لا يطمع في طيبـه إن أنت لم تمسسه بالـنـار

ومما أورده ابن رشيق لنفسه في النموذج:

أقول كالمأسور فـي لـيلة ألقت على الآفاق كلكالهـا

يا ليلة الهجر التي ليتـهـا قطع سيف الهجر أوصالها

ما أحسنت جمل ولا أجملت هذا وليس الحسن إلا لهـا

وأنشد لنفسه أيضاً:

أحب أخي وإ أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامـي

ولي في وجهه تقطيب راض كما قطبت في وجه المـدام

ورب تجهم من غير بغـض وضغن كامن تحت ابتسـام

وله أيضاً:

من جفاني فإنني غير جـاف صلة أو قطيعة في عفـاف

ربما هاجر الفتى من يصافي ه ولاقى بالبشر من لا يصافي

وأنشد لنفسه في كتاب فسح اللمح:

المرء في فسحة كما علموا حتى يرى شعره وتأليفـه

فواحد منهما صفحـت لـه عنه وجازت له زخاريفـه

وآخر نحن منه فـي غـرر إن لم يوافق رضاك تثقيفه

وقد بعثنا كيسي ملؤهـمـا نقد امرئ حاذق وتزييفـه

فانظر وما زلت أهل معرفة يا من لنا علمه ومعروفـه

ثم قال في ورقة أخرى تمام الأبيات العينية، وما وجدتها أعني الأبيات التي هذه تمامها:

ولو غيرك الموسوم عندي بـريبة لأعطيت فيه مدعي القوم ما ادعى

فلا تتخالجك الظـنـون فـإنـهـا مآثم واترك للصنائع مـوضـعـا

فوالله ما طولت باللـوم فـيكـم لساناً ولا عرضت للذم مسمـعـا

ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطـوت حبالي ولا ولى ثنـائي مـودعـا

بلى ربما أكرمت نفسي فلم تهـن وأجللتها عن أن تذل وتخضـعـا

فباينت لا أن الـعـداوة بـاينـت وقاطعت لا أن الوفاء تقـطـعـا

وختم كتاب العمدة بهذه الأبيات:

إن الذي صاغت يدي وفمي وجرى لساني فيه أو قلمي
مما عنيت بسبك خالصه واخترته من جوهر الكلم
لم اهده إلا لتكسوه ذكراً يجدده على القدم
لسنا نزيدك فضل معرفة لكنهن مصايد الكرم
فاقبل هدية من أشدت به ونسخت عنه آية العدم
لا تحسن الدنيا أبا حسن تأتي بمثلك فائق الهمم

الحسن بن أبي الحسن صافي

أبو نزار النحوي، وكان أبوه صافي مولى الحسين الأرموي التاجر، وكان لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته، لئلا يعرف أنه مولى، وهو المعروف بملك النحاة. قال أبو القاسم علي بن عساكر الحافظ: ذكر لي أنه ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي إلى جوار حرم الخلافة، وهناك قرأ العلم وتخرج. وسمع الحديث من الشريف أبي طالب الزينبي، وقرأ الفقه على أحمد، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان، والخلاف على أسعد الميهني، والنحو على أبي الحس علي بن أبي زيد الأستراباذي الفصيحي وفتح له الجامع ودرس، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ودخل إلى الشام وقدم دمشق، ثم خرج منها وعاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها، في تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وكان قد ناهز الثمانين، وكان صحيح الاعتقاد كريم النفس، ذكر لي أسماء مصنفاته: كتاب الحادي في النحو مجلدتان، كتاب العمد في النحو مجلدة وهو كتاب نفيس، كتاب المقتصد في التصريف مجلدة ضخمة، كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر، وشيء من الشواذ مجلدتان، كتاب التذكرة السفرية انتهت إلى أربعمائة

كراسة، كتاب العروض مختصر محرر، كتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه الحاكم مجلدتان، كتاب مختصر في أصول الفقه، كتاب مختصر في أصول الدين، كتاب ديوان شعره، كتاب المقامات حذا حذو الحريري. ومن شعره يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا قاصداً يثرب أن يستجير بعليا خاتم الفيحاء مرتـجـياً الـرسـل
خذ عن أخيك مقالاً مدحت في آخر إن صدعت به الأعصار والأول
قل يا من الفخر تذوكر الفخر لم موقوف عليه فإن يصدف ولم يمل
صيت إذا طلبت سبعاً طباقاً فبذت غاياته خـرقـت كـل ذي أمـل
علوت وازددت حتى جبريل عما له قد كان عاد منتزحاً لم يطـل
وعدت والكبر قد عدوت شيمة سبط نافى علاك فما الخلق مبتهـل
أتتك غر قوافي لديك فاقبل ثناء غير المدح خاضـعة منـتـحـل
ثناء من لم يجد وجناء إليك أو صد بالإقتار تحـمـلـه عن جمـل

ومن شعره أيضاً:

حنانيك إن جاءتك وهالك أصناف الكلام يوماً خصائصي المسخـر
فسل منصفاً عن يخبرك أن الفضل حالتي غير جائر للمـتـأخـر

وقال أحمد بن منير يهجو ملك النحاة، وكان قد كتب أبو نزار إلى بعض القضاة العاصوي:

أيا ملك النحو والحـاء تهجيهمن تحت قد مـن أعجموها
أانا قـياسـك هـذا يعجم أشياء قد الـذي أعربـوهـا
ولما تصنعت في غدا وجه جهلك فيه العاصوي وجوها
وقالوا قفا الشيخ إن ك إذا دخلوا قرية

الملـو أفسدوها

فبلغت أبياته ملك النحاة فأجابه بأبيات منها:

أيا بن منير حسبت ء رتبة فخر فبالغت الهـجـا فيهـا

جمعت القوافي مـن وأفسدت أشياء قد ذا وذا أصلحوها

وفي آخرها:

فقالوا قفا الشيخ إن ك إذا أخطأت سوقة الملـو أدبوها

قال البلطي: كان ملك النحاة قدم إلى الشام، فهجاه ثلاثة من الشعراء، ابن منير والقيسواني والشريف الواسطي. واستخف به ابن الصوفي ولم يوفه قدر مدحه، فعاد إلى الموصل ومدح جمال الدي وجماعة من رؤسائها وقضاتها. فلما نبت به الموصل، قيل له: لو رجعت إلى الشام، فقال: لا أرجع إلى الشام إلا أن يموت ابن الصوفي، وابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، فقتل الشريف الواسطي، ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة، ومات الصوفي بعدهم بأشهر. وحدثني شيخنا أبو البقاء. يعيش بن علي ابن يعيش النحوي قال: بلغني أنه كان لملك النحاة غلام وكان سيء العشرة، قليل المبالاة بمولاه ملك النحاة، فأرسله يوماً في شغل ليتعجله في إنجازه، فأبطأ فيه غاية الإبطاء، ثم جاء بعذر غير جميل، وكان يحضر ملك النحاة جماعة من أصدقائه والتلامذة، فغضب ملك النحاة وخرج عن حد الوقار الذي كان يلتزمه ويتوخاه وقال له: ويلك أخبري، ما سبب قلة مبالاتك بي، واطراحك لقبول أوامري؟ أنكتك قط؟ فبادر الغلام وقال: لا والله يا مولاي، معاذ الله أن تفعل ذلك بي، فإنك أجل من ذلك. قال: ويلك، فنكتني قط؟ فحرك الغلام رأسه متعجباً من كلامه وسكت. فقال له: ويلك أدركني بالجواب، هذا موضع السكوت؟ - لا رعاك الله - يا ابن الفاعلة، عجل، قل ما عندك قل، فقال: لا والله. قال: فما السبب في أك لا تقبل قولي، ولا تسرع في حاجتي؟ فقال له إن كان سبب الانبساط لا يكون إلا هذين، فأعدك ألا أعود إلى ما تكره إن شاء الله.

قال العماد: أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيقيل ولا يستقال، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي؟ ولو عاش ابن جني لم يسع إلا حمل غاشيتي، مر الشكيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين، مولع باستعمال الحلاوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه، مغرى بإحساه إلى خلصانه وخلانه. قال العماد: أذكره وقد وصلت إليه خلعة مصرية، وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبيقي إلى السوق، فبلغ دو عشرة دنانير، فقال: قولوا: هذا قميص ملك كبير، أهداه إلى ملك كبير، ليعرف الناس قدره، فيحلبوا عليه البدر على البدار، وليجلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحق إذا جهلوا حقه، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه.

ومن ظريف ما يحكى عن ملك النحاة: أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنية، ونزل ليمضي إلى منزله. فرأى حلقة عظيمة فمال إليها لينظر ما هي؟ فوجد رجلاً قد علم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر ملك في زي سوقة، أعلم الاس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال: استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طرقي؟ فقال يا مولانا: عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك. فضحك منه نور الدين وسكت.

وحكي عنه أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول: كلب من الكلاب. فقال رجل يوماً: فلست إذا ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي.

وقال السمعاني: دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان، ولقي الأكابر، وتلقى مورده بالإكرام، ولم يدخل بلاد خراسان وانصرف إلى كرمان، وخرج منها إلى الشام. قال: وقرأت فيما كتبته بواسط، ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي:

أراجع لي عيشي الـفـارط أم هو عني نازح شاحط؟؟

ألا وهل تسعـفـنـي أوبة يسمو بها نجم المنى الهابط؟

أرفل في مرط ارتياح وهل يطرق سمعي هذه واسط؟

يا زمني عد لي فقد رعتنـي حتى عراني شيبي الواخـط

كم أقطع البيداء فـي لـيلة يقبض ظلي خوفها الباسط؟

أأرقب الـراحة أم لا وهـل يعدل يوماً دهري القاسط؟؟

أيا ذوي ودي أما اشتـقـتـم إلى إمام جـأشـه رابـط؟

وهل عهودي عندكم غـضة أم أنا في ظني إذاً غالـط؟

ليهنكم ما عشـتـم واسـط إني لكم يا سادتي غـابـط

وأنشد له:

الجيش والبرم الكثـير منظوم ذلك والنثـير

ودخان عود الهند والش مع المكفر والعبـير

ورشاش ماء الورد قد عرفت به تلك النحور

ومثالث الـعـيدان يس عد جسهـا بـم وزير

وتخافـق الـنـايات يخ فق بينها الطبل القصير

والشرب بالقدح الصـغ ير يحثه القدح الكبـير

أحظى لدي مـن الأبـا غر والحداة بها تسـير
للعـبـد أ يلـتـذ فـي دنياه والله الـغـفـور

ومن شعره أيضاً:

يا بن الذين ترفعوا في مجدهم وعلت أخامصهم فروع شمام
أنا عالم ملك بكسر الـلام ف يما أدعيه لا بفـتـح الـلام

أنشدني عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب بن الزاكي بن أبي الفوارس، السلمي الحراني المعروف باب الصيفي الدمشقي قال: أنشدني فتيان بن علي بن فتيان الأسدي النحوي في ملك النحاة، وكانت قد عضت يد ملك النحاة سنور فربطها بمنديل عظيم:

عتبت على قط ملك النحـاة وقلت: أتيت بغير الصواب
عضضت يداً خلقت لـلـدى وبث العلوم وضرب الرقاب
فأعرض عني وقـال اتـئد ألي القطاط أعادي الكلاب?

قال: فبلغته الأبيات فغضب منها، إلا أنه لم يدر من قائلها? ثم بلغه أنني قلتها وبلغني ذلك فانقطعت عنه حياء مدة، فكتبت إليه شعراً أعتذر إليه، فكتب إلي:

يا خليلي نلتما الـنـعـمـاء وتسنمتما العـلا والـعـلاء
ألمما بالشاغور والمسجد المعم ور واستمطرا بـه الأنـواء
وامنحا صاحبي الذي كان فيه كل يوم تـحـية وثـنـــاء
ثم قولا له اعتبرنا الـذي فـه ت به مادحاً وكان هـجـاء
وقبلنا فيه اعتـذارك عـمـا قاله الجاهلون عنك افتـراء

الشاغور محلة بدمشق بالباب الصغير. وقال فتيان ابن المعلم الدمشقي: رأيت أبا نزار في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك? فقال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، فتعلق بحفظي منها أبيات وهي:

يا هذه أقصري عن العـذل فليس في الحق ويك من قبل
يا رب ها قد أتيت معترفـاً بما جنتـه يداي مـن زلـل
ملآن كف بـكـل صفر يد من محاسن

مـأثـمة	العمل
فكيف أخشى ناراً	وأنت يا رب في
مسـعـرة	القيامة لي

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس الأرض.

الحسن بن عبد الله،الأصبهاني

المعروف بلغدة ولكذة، أيضاً الأصبهاني أبو علي، قدم بغداد، وكان جيد المعرفة بفنو الأدب، حسن القيام بالقياس، موفقاً في كلامه، وكان إماماً في النحو واللغة، وكان في طبقة أبي حنيفة الديوري، مشياخهما سواء، وكان بينهما مناقضات قال حمزة بن حسن الأصبهاني في كتاب أصبهان: وقدم على اب رستم الديميري من سامراً: إبراهيم بن غيث البغدادي وكان أصبهانياً، فخرج في صغره إلى العراق، فبرع في علم النحو واللغة، وهو جد عبد الله بن يعقوب الفقيه. وروى عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وقدم الخصيب بن أسلم الباهلي صاحب الأصمعي وروى عن أبي إسحاق إبراهيم بن غيث، وأبي عمر الخرقي، وهو أول من قدم أصبهان من أهل الأدب واللغة، وعن الباهلي صاحب الأصمعي، وعن الكرماني صاحب الأخفش: أخذ أبو علي لغدة علم اللغة. وكان أبو علي يحضر مجلس أبي إسحاق ويكتب عنه، ثم خالفه وقعد عنه، وجعل ينقض عليه ما يمليه.

قال حمزة: وقد تقدم من أهل اللغة في أصبهان، - وصار فيها رئيساً يؤخذ عنه - جماعة: منهم أبو علي لغدة، وكان رأساً في اللغة والعلم والشعر والنحو. حفظ في صغره كتب أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، ثم تتبع ما فيها، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان، وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان، فيضربون خيمهم بفاء داره، في باغ سلم بن عود، ويقصدهم أبو علي كل يوم، فيلقي عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة، وثبت تلك الأوصاف عن ألفاظهم في الكتاب الذي سماه كتاب النوادر. ثم لم يك له في آخر أيامه ظير بالعراق. قال: وكتاب النوادر هذا كتاب كبير، يقوم بإزاء كل ما خرج إلى الناس من كتب أبي زيد في النوادر، وله من الكتب الصغار: كتاب

الصفات، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، وكتب أخر كثيرة من صغار الكتب، وله ردود على علماء اللغة، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن في كتاب وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج - رحمه الله - قال محمد بن إسحاق النديم: وله من التصانيف: كتاب الرد على الشعراء قضه عليه أبو حنيفة الدينوري، كتاب الطق، كتاب الرد لعى أبي عبيد في غريب الحديث، كتاب علل النحو، كتاب مختصر في النحو، كتاب الهشاشة والبشاشة، كتاب التسمية، كتاب شرح معاي الباهلي، كتاب نقض علل النحو، كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث.

وأفرد حمزة الأصبهاني في كتاب أصبهان أشعاراً للغدة منها:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهـم والمنكرون لكل أمر منـكـر
وبقيت في خلف يزين بعضهـم بعضاً ليستر معور عن معـور
ما أقرب الأشياء حي يسوقـهـا قدر وأبعدهـا إذا لـم تـقـدر
الجد أنهض بالفتـى مـن كـده فانهض بجد في الحوادث أو ذر
وإذا تعسرت الأمور فأرجـهـا وعليك بالأمر الذي لم يعـسـر

ومن شعره أيضاً:

خير إخواك المشارك في المر ر وأين الشريك في المر أيا؟؟
الذي إن شهدت سرك في الـق وم وإن غبت كان أذناً وعينـا
مثل تبر العقـيا إن مـسـه الا ر جلاه الجلاء فـازداد زينـا
وأخو السوء إن يغب عك يسبع ك وإن يحضر يكن ذاك شـيئاً
جيبه غـير نـاصـح ومـنـاه أن يعيب الخليل إفكا ومـينـا
فاصرمنه ولا تلهـف إن صرماً له كنـقـدك

عـلـيه دينـا

ومن شعره أيضاً:

بذلت لك الصفاء بكل جـهـدي وكنت كما هويت فرصت وخزا
جرحت بمدية فحززت أنـفـي وحبل مـودتـي بـيديك حـزا
فلم تترك إلى صحـل مـجـازاً ولا فيه لمطـلـبـه مـهـزا
ستمكث نادماً في العيش مـنـي وتعلم أن رأيك كـان عـجـزا
وتذكرني إذا جـربـت غـيري وتعلم أنني لك كنـت كـنـزا

الحسن بن عبد الله المرزباني السيرافي

أبو سعيد النحوي القاضي، وسيراف بليد على ساحل البحر من أرض فارس، رأيته أنا وبه أثر عمارة قديمة، وجامع حسن، إلا أنه الآن الغالب عليه الخراب، وقد كان ولي القضاء على بعض الأرباع ببغداد، ومات - رحمه الله - يوم الاثنين ثاني رجب، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في خلافة الطائع ودفن في مقابر الخيزران. وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فسماه أبو سعيد عبد الله، وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو، واللغة، والفقه والفرائض. وكان قد قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة، ودرسا جميعاً عليه النحو، وقرأ على أبي بكر بن السراج، وأبي بكر المبرمان النحو، وقرأ أحدهما عليه القرآن، ودرس الآخر عليه الحساب.

قال الخطيب: وكان - رحمه الله - زاهداً ورعاً، لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كتب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس، حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم، تكون بدق رمئونته، ثم يخرج إلى مجلسه. وصنف كتباً منها: شرح كتاب سيبويه.

قال أبو حيان التوحيدي: رأيت أصحاب أبي علي الفارسي يكثرون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله. فقلت لهم: إنكم لا تزالون تقعون فيه، وتزرون على مؤلف، فما لكم وله؟ قالوا: نريد أن نرد عليه، ونعرفه خطأه فيه.

قال أبو حيان: فحصلوه واستفادوا منه، ولم يرد عليه أحد منهم أو كما قال أبو حيان، فإني لم أنقل ألفاظ الخبر لعدم الأصل الذي قرأته منه، وكان أبو علي وأصحابه كثيري الحسد لأبي سعيد، وكانوا يفضلو عليه الرماني، فحكى ابن جني عن أبي علي: أن أبا سعيد قرأ على اب السراج خمسين ورقة من أول الكتاب ثم انقطع، قال أبو علي: فلقيته بعد ذلك فعاتبته على انقطاعه. فقال لي: يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم. وهو علم الوقت من اللغة والشعر، والسماع من الشيوخ، فكان يلزم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع.

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني يهجو أبا سعيد السيرافي:

لست صدراً ولا قرأت ر ولا علمك البكـي على صد بـكـاف
لعن الله كل شـعـر وعروض يجيء من ونـحـو سـيراف

وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: قال لي أبو أحمد: ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة. قال المؤلف: وبها قرأ فيما أحسب على المبرمان. قال: كان فقيهاً على مذهب العراقيين، وورد إلى بغداد، فخلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبي. ومولده قبل التسعين ومائتين. وله من الكتب: كتاب شرح سيبويه، ألفات القطع والوصل، كتاب أخبار النحويين البصريين، كتاب شرح مقصورة ابن دريد، كتاب الإقناع في النحو لم يتم، فتممه ابنه يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابل بالإقناع، يريد أه سهله حتى لا يحتاج إلى مفسر، كتاب شواهد كتاب سيبويه، كتاب الوقف والابتداء، كتاب صنعة الشعر والبلاغة، كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، كتاب جزيرة العرب.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ عمرو بن بحر، وقد ذكر جماعة من الأئمة، كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال: ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه، واللغة والشعر، والعروض والقوافي، والقرآن والفرائض، والحديث والكلام، والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، فما وجد له خطأ، ولا عثر منه على زلة. وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان. هذا مع الثقة والديانة، والأمانة والرواية. صام أربعين سنة، وأكثر الدهل كله.

قال لنا الأندلسي: فارقت بلدي في أقصى الغرب طلباً للعلم، وابتغاء مشاهدة العلماء، فكنت إلى أن دخلت بغداد وتلقيت أبا سعيد، وقرأت عليه كتاب سيبويه نادماً سادماً في اغترابي عن أهلي ووطني، من غير جدوى في علم أو حظ من الدنيا، فلما سعدت برؤية هذا، علمت أن سعيي قرن بسعدي، وغربتي اتصلت ببغيتي، وأن عنائي لم يذهب هدراً، وأن رجائي

لم ينقطع يأساً. قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ: قرأنا على أبي سعيد الحسن بن عبد الله في كتاب ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم: هو الشمع مفتوح الشين والميم. فسألناه عما يحكى عن أبي بكر بن دريد أنه قال: شمع بكسر الشين. فقال: لا يعاج عليه. قلنا له: فهو صحيح عن ابن دريد؟ فقال: نعم هو عنه بخطي في كتاب الجمهرة.

قال: وكان أبو الفتح بن النحوي، وأبو الحس الدريدي سألاني عن ذلك، فاستعفيت من الإجابة، لئلا أنسب إلى ابي بكر حرفاً أجمع الناس على خلافه.

وقال أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء قثال: وحضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، أبي سعيد السيرافي، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي، يشرح له ترجمة المدخل إلى كتاب سيبويه من تصنيفه. فقال له: علق عليه، واصرف همتك إليه، فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوره إلا بالاعتزال عن الناس. فقال: - أيد الله القاضي -، أنا مؤثر لذلك، ولك اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريده. فقال له: ألك عيال؟ قال لا. قال: عليك ديون؟ قال: دريهمات. قال: فأنت ريح القلب، حسن الحال، ناعم البال، اشتغل بالدرس والمذاكرة، والسؤال والمناظرة، واحمد الله تعالى على خفة الحاذ، وحسن الحال. وأنشده:

إذا لم يكن للمرء مال ولم يكن له طرق يسعى بـه الـولائد
وكان له خبز وملح ففيهـمـا له بلغة حتى تجيء المـوائد
وهل هي إلا جوعة إن سددتها فكل طعام بين جنبيك واحـد

قال: وكان يقرأ على أبي سعيد السيرافي الكامل للمبرد، فجاءه أبو أحمد بن مردك وكان هذا من ساوة، واستوطن بغداد وولد بها، وكان له قرب ومنزلة من أبي سعيد يوجب حقه ويرعاه له. فقال: ايها الشيخ عندي ابنة بلغت حد التزويج، وجماعة من الغرباء والبغداديين يخطبونها، فما ترى ومم أزوجها؟ فقال:

فمن يخاف الله تعالى، وأكثرهم تقية وخشية منه، فإن من يخاف الله إن أحبها بالغ في إكرامها، وإن لم يحبها تحرج من ظلمها، فاستحسنا ذلك وأثبتناه ثم قال: لا تنسبوا هذا إلي، إنما هذا قول الحسن. قال: وشبيه هذه الحكاية: أن رجلاً وقف على الحسن فقال: علمني ما يقربني إلى الله تعالى وإلى الناس، قال: أما ما يقربك إلى الله فمسألته. وأما ما يقربك إلى الناس فترك مسألتهم. وقال: وتأخر بعض أصحابه عن مجلسه في يوم السبت، وكان يرعى حق أبيه فيه، لأنه كان وجيهاً شريفاً، فلما كان يوم الأحد قال له: ما الذي أخرك؟ فأشار إلى شرب الدواء، ولأجله تأخر عن المجلس، فأنشدنا:

لنعم اليوم يوم السبت حـقـاً	**لصيد إن أردت بلا افتـراء**
وفي الأحد البناء فـإن فـيه	**تبدى الله في خلق السمـاء**
وفي الإثنين إن سافرت حقاً	**يكون الأوب فيه بالنـمـاء**
وإن ترم الحجامة فالثـلاثـا	**ففي ساعاته درك الشفـاء**
وإن شرب امرء يومـاً دواء	**فنعم اليوم يوم الأربـعـاء**
وفي يوم الخميس قضاء حاج	**ففيه الله آذن بالـقـضـاء**
ويوم الجمعة التـزويج فـيه	**ولذات الرجال مع النسـاء**

قال: ولما قبل ابن معروف شهادته، عاتبه على ذلك بعض المختصين به وقال: أيها الشيخ، إنك إمام الوقت وعين الزمان، والمنظور إليه والصدر، وإذا حضرت محفلاً كنت البدر، قد اشتهر ذكرك في الأقطار والبلاد، وانتشر علمك في كل محفل وناد، والألسنة مقرة بفضلك، فما الذي حملك على الانقياد لاب معروف واختلافك إلى مجلسه، وصرت تابعاً بعد أن كنت متبوعاً، ومؤتمراً بعد أن كنت آمراً، وضعت من قدرك، وضيعت كثيراً من حرمتك، وأنزلت نفسك منزلة غيرك، وما فكرت في عاقبة أمرك، ولا شاورت أحداً من صحبك. فقال: اعلموا أن هذا القاضي سبب اكتساب ذكر جميل، وصيت حسن، ومباهاة ومنافسة لأقرانه وإخوانه، ومع ذلك له من السلطان منزلة. وبلغني أنه يستضيء برأيه، ويعده من جملة ثقاته وأوليائه، وعرض بي، وصرح في الأمر مرة بعد أخرى، وثانية عقب أولى، فلم أجب إليه، ولم أسلس قيادي له، فخفت مع كثرة الخلاف اعتمادي بما أستضر به وينتفع به غيري. وإذا اتفق أمران، فاتباع ما هو أسلم جانباً وأقل غائلة أولى. وقد كان الآن ما كان، والكلام فيه ضرب من الهذيان. فلما كان بعد هذا بأيام، ورد عليه من آمد صاحب لأبي العباس بن ماهان بكتاب يهنئه

فيه بما تلبس به من العدالة، وكان الكتاب يشتمل على كلمات وجيزة، وألفاظ حسنة، ومعان منتقاة. وكان أبو العباس هذا من أصحاب أبي سعيد، وممم لازمه سنين عدة، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره، درساً ومذاكرة. وكانت له أيضاً بضاعة قوية في علم الهيئة، وبصر تام بمذهب الكوفيين في النحو، حتى ما كان يطاق وكان من أصدر الكتاب على يده رجلاً كردياً، عليه جبة ثقيلة فوقها صناعة عظيمة، قد أضرت به شمس الهواجر، ومقاساة السفر، وقطع المهامه والمفاوز. وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى:)مثل ما أنكم تنطقون(. والاحتجاج عمن نصبه ورفعه، والكردي ما يفهم منه القليل ولا الكثير، ثم التفت إلى أبي سعيد وقال: يا شيخ، في أي شيء أنت? وفي ماذا تتكلم? فقال: أتكلم في شيء لا يعرفه كل أحد، ولا يتصوره كثير من الناس. قال: ففسره لي لعلي أفهمه. قال: لا يكو ذلك أبداً. قال: أنت عالم، ومن اقتبس منك علماً لزمك الجواب. فقال له: عليك بمجلس يجري فيه حديث الفرض والنفل والسنن وظواهر أمر الشريعة لتستفيد منه، وتنتفع به. فأخذ الكردي في المطاولة، وإيراد الهذيان وما لا محصول له. وسكت عنه أبو سعيد، وصمت هو أيضاً. وجعل أبو سعيد على عادته، يبين ويوضح ويتكلم، وينثر الدر ولا يهدأ ولا يفتر لسانه، ولا يجف ريقه. والكردي ملازمه، وكأنه كالمتبرم به، والمستثقل لجلوسه، وملازمته إياه إلى أن قام ومضى.
ثم قال أبو سعيد: ما ظننت أن ثقيلاً تمكن من أحد تمكن هذا منا اليوم، وإن ألم ثقله خلص إلى الروح والبدن كما خلص إلي، لقد هممت تارة بضربه فقلت: ربما ضربني أيضاً، ثم هممت بالقيام فقلت: ضرب من الخرق، ثم كدت أصيح فقلت: نوع من الجنون، ثم بقيت أدعو سراً، وأرغب إلى الله تعالى في صرفه، فتفضل الله الكريم علي بذلك، ومع هذه الحالة، لم تزل أبيات محمد بن المرزبان تتردد بين لهاتي ولساني. فقلنا له: وما الأبيات? فقال:

يا شقيق الرصاص والجبل وقريع الأيام في الثقل
أرح حياتي فقد هجمت على نفسي وأشرفت بي على أجلي
والله لو كنت والداً حدباً وكنت تحيي الأموات في المثل
وتمزج الثلج في العساس لدى ال قيظ وعند الشتاء بالعسل
رحلت عن ذاك عند آخره واخترت ألا أراك في الرحل
فخذ طريفي وتالدي فإذا لم يبق شيء فخذ إذاً سملي
وارحل إلى الظلمة التي ذكرت من خلف قاف يا شر مرتحل

قال: وكان قد ظهر بالعراق رجل من الجراد، فأضرت بالزروع والأثمار، وغلت الأشعار، وأثر في أحوال الاس. فحضرنا مجلس أبي سعيد السيرافي، وكل منا شكا حاله، وذكر خلته، وكان فينا رجل مزارع، ذكر أنه زرع بنواحي النهروان أربعة آلاف جريب ملكاً وضماناً

وإجارة رجاء الفائدة، وقد أتي عليها الجراد، وهلك ذلك الرجل لأجله.
ثم قال أبو سعيد: لا يهولنك أمرها، فإنها جند من جنود الله مأمور. بلغنا أن جرادة سقطت بين يدي عبد الله بن عباس، فأخذها ونشر جناحها وقال: أتعلمو ما هو مكتوب عليها؟ قالوا لا، قال: مكتوب عليها: أنا مغلي الأسعار، مع تدفق الأنهار. وأورد في ذكر الجراد ما حير الناظري، ثم قال: ومن أحسن ما وصف به الجراد، قول بعض الخطباء حيث يقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً وسماها جراداً، وألبسها أجلاداً، وجندها أجناداً، وأدمجها إدماجاً، وكساها من الوشي ديباجاً، وجعل لها ذرية وأزواجاً، إذا أقبلت خلتها سحاباً أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقاديم، مزبرجة المآخير، مزقة الأطراف، منقطعة الأخفاف، منمنمة الحواشي، منمقة الغواشي، ذات أردية مزعفرة، وأكسية معصفرة، وأخفية مخططة. معتدلة قامتها، مؤتلفة خلقتها، مختلفة حليتها، موصولة المفاصل، مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال، وتميس وتختال، وتطوف وتجتال، فتبارك خالقها، وتعالى رازقها، من غير حاجة منه إليها، رحمة منه عليها، أوسعها رزقاً، وأتقنها خلقاً، وفتق منها رتقاً. ووشج أعراقها، وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها، وقسم معايشها وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب النازل من سمائها، وتحرس الدائر من حولها. سلاحها عتيد، وبأسها شديد، ومضرتها تعديد تدب على ست وتطير، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً، وجعل لها من كل ثمر وشجر نصيباً، وجعل لها إدباراً وإقبالاً، وطلباً واحتيالاً، حتى دبت ودرجت، وخرجت ودخلت، ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق، والعصب الدقيق، والبدن الرقيق)هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه(.
ثم قال: وماذا تقولون في طير؟ إذا طار بسط، وإذا دنا من الأرض لطع، رجلاه كالمنشار، وعيناه كالزجاج. عينه في جنبه، ورجله أطول من قامته، ألا وهي الجرادة. ثم قال: وأحسن منه: جيدها كجيد البقر، ورأسها كرأس الفرس، وقرنها كقرن الوعل، ورجلها

كرجل الحمل، وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة، وتأكل بلسانها، فتبارك الله ما أحسنها! وأحس ما فيها: أنها طعام طاهر حياً وميتاً، ونقل تجدب أقواماً وتخصب آخرين. فقلنا له: ما معنى قولك تجدب أقواماً وتخصب آخرين؟ قال: إنها إذا حلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال، فهي خصب لهم وميرة، وإذا حلت بمأوى الزرع والأشجار فهي تجدب، لأنها تأتي على الشوك والشجر، والرطب واليابس، فلا تبقي ولا تذر.

قال: وقال أيضاً في تضاعيف كلامه: خادم الملك لا يتقدم في رضاه خطوة، إلا استفاد بها قدمة وحظوة.

قال: وما رأيت أحداً من المشايخ كان أذكر لحال الشباب، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه، فإنه إذا رأى أحداً من أقرانه قد عالجه الشيب تسلى به، ولم يزل يسأله عن حاله، كانت في أيام الشباب وزمن الصبا. وإذا ذكر بين يديه ما يتعلق بالشيب والشباب، بكى وجداً وحن، وشكا وأن، وتذكر عهد الشباب. وكان كثيراً ما ينشد مقطعات محمود الوراق في الشيب ويبكي عليها. وأنشد يوماً:

فإن يكن المشيب ... وولى بالبشاشة
طرا علينـا ... والشـبـاب
فإني لا أعاقـبـه ... يكون على أهون من
بـشـيء ... خضاب
رأيت بـأن ذاك وذا ... فينتقم العذاب من
عـذاب ... الـعـذاب

قال: وأنشدنا لمحمود الوراق في الشيب وعيناه تدمعان:

ولو أن دار الشيب ... على ضيقها لم نبغ
قرت بصاحب ... داراً بـداره
ولكن هذا الشيب ... يخبرنا عنه بـقـرب
للـمـوت رائد ... مـزاره

قال أبو حيان: وكان أبو سعيد يفتي على مذهب أبي حنيفة وينصره، فجرى حديث تحليل اتلنبيذ عنده، فقال له بعض الخراسانيين: أيها الشيخ، دعنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعي. ما ترى أنت في شرب النبيذ والقدر الذي لا يسكر ويسكر؟ فقال: أما المذهب فمعروف لا عدول عنه، وأما الذي يقتضيه الرأي ويجبه

العقل، ويلزم من حيث الاحتياط، والأخذ بالأحسن والأولى، فتركه والعدول عنه.
فقال له: بين لنا - عافاك الله -. فقال: العم أنه لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان يجب على العاقل رفضه وتركه، بحجة العقل والاستحسان. فإن شاربه محمول على كل معصية، مدفوع إلى كل بلية، مذموم عند كل ذي عقل ومروءة، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء، ويجعله من جملة السفهاء، ومع ذلك فيضر بالدماغ والعقل، والكبد والذهن، ويولد القروح في الجوف، ويسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة والمهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق والمئبئج، يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبكي من غير سبب، ويخضع لعدوه، ويصول على وليه، ويعطي من لا يستحق العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويبذر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسك، ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاماً، وأفعاله ملاماً، عبده لا يوقره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفزع عنه، يتمرغ في قيئه، ويتقلب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربما قتل قريبه، وشتم نسيبه، وطلق امرأته وكسر آلة البيت، ولفظ بالخنى، وقال كل غليظة وفحش، يدعو عليه جاره، ويزرى به أصحابه، عند الله ملوم، وعند الاس مذموم، وربما يستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم، فيبكي دماً، ويشق جيبه حزناً، وينسى القريب، ويتذكر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلن النوادر عليه. ومع ذلك فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكن من ناصيته، وزي في عينه إتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة، والحنث في الأيمان، سوى ما حل به عند الإفاقة من الندامة، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة.
فقال الرجل: والله إن قولك ووصفك له أعلق بالقلب من كل واضح وبرهان لائح، وحجة وأثر، وقول وخبر.
فقال له: لولا ذهاب الوقت لا عوض له، لاستدللت لكل

خصلة ذكرتها، ولفظة أوردتها بآية من كتاب الله، أو خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قلت: إن الألفاظ مشتقة من ذاك مستنبطة منه، ولك الأمر في هذا أظهر وأشهر من أن يبين ويوضح. ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له، وقد خالفه فيها أعيان أصحابه، والناقلة لمذهبه، ولكن لكل أريب هفوة، ولكل جواد كبوة، والكلام إذا كثر لا يخلو من الخطإ، والقول إذا تتابع لا يعرى من التناقض، - والله المعين على أمر الدنيا والدين - قال أبو حيان: قال أبو سعيد: دخلت مسجداً بباب الشام يوماً أنظر أبا المنصور العمري فرأيت عربياً قد استلقى ومخلاته تحت رأسه، وهو يترنم بهذه الأبيات بحلق أطيب ما يكون، وصوت أندى ما يسمع:

سماء الحب تهطل بالصـدود — ونار الحب تحرق من بعـيد
وعين الحب تأتي بالمـنـايا — فتغرسه على قلب عـمـيد
وأول من عشقت عشقت ظبياً — له في الصدر قلب من حديد

فقلت له: أعد الأبيات. فقال لي: دخلت علي وشغلتني عما كنت عليه، خلوت بنفسي في هذا المسجد أتمنى أماني دونها خرط القتاد، فأفسدتها علي. فحفظت الأبيات من قوله، وانصرفت وتركته. قال أبو حيان: وأنشدنا أبو سعيد السيرافي:

فكرت في شيب الفتى وشبـابـه — فأيقنت أن الحق للشيب واجـب
يصاحبن شرخ الشباب فيقـضـي — وشيبي إلى حين الممات مصاحب

ثم قال: ما رأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً، وما ورد في الشيب ولاشباب، من شيخنا أبي سعيد. وذاك أنه كان ديناً، ورعاً تقياً، زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، صام أربعين سنة الدهر كله. قال: وقال لي أبو إسحاق المدائني. ما قرأت عليه خبراً ولا شيئاً قط فيه ذكر الموت والقبر، والبعث والنشور، والحساب والجنة والنار، والوعد والوعيد والعقاب، والمجازاة والثواب، والإنذار، والإعذار، وذم الدنيا وتقلبها بأهلها، وتغيرها على أبنائها، إلا وبكى

منها، وجزع عندها، وربما نغص عليه يومه وليلته، وامتنع من عاداته في الأكل والشرب. وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله، ما كنا نستعين به ونستفيد منه، وما نجعله حظ يومنا. ورأيته يوماً ينشد ويبكي:

حتى الدهر من بعد استقامته ظهري ودب البلى في كل عضو ومفصل وأفضى إلى تنغيص عيشته عمري ومن ذا الذي يقى سليماً على الدهر?

قال: ووصى يوماً بعض أصحابه وكان يقرأ عليه شرح الفصيح لابن درستويه: كن كما قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس مالك، وما في صدرك للتفقه. قال: وأنشدنا:

وذي حيلة للشيب ظل يحوطه وما لطفت للشيب حيلة عالم يقرضه حيناً وحينا ينتف من الناس إلا حيلة الشيب ألطف

قال أبو حيان: شكا أبو الفتح القواس إليه طول عطلته، وكساد سوقه، ووقوف أمره، وذهاب ماله، ورقة حاله، وكثرة ديونه وعياله، وتجلف صبيانه، وسوء عشرة أهله معه، وقلة رضاهم به، ومطالبتهم له بما لا يقوم به، وأنه يقع ويقوم، ويدخل كل مدخل، حتى يحصل لنفسه وعياله بعض كفايتهم. فقال له: ثق بالله خالقك، وكل أمرك إلى رازقك وأقلل من شنبك وأجمل في طلبك، واعلم أنك بمرأى من الله ومسمع، قد تكفل برزقك، فيأتيك من حيث لا تحتسبه، وضمن لك ولعيالك قوتهم، فيدر عليك منم حيث لا ترتقبه، وعلى حسب الثقة بالله يكون حسن المعونة، وبمقدار عدولك عن الله إلى خلقه يكون كل المئونة. وأنشد وذكر أنه لبعض المحدثين:

يا طالب الرزق إن الرزق في طلبك لا يملكنك لا حرص ولا تعب والرزق يأتي وإن أقللت من تعبك فيسلماك ولا تدري إلى عطبك

إن تخف أسباب هذا الرزق عنك فكم بل إن تكن في أعز العز ذا أرب للرزق من سبب يغنيك عن سببك فلا يكن زاد من لم تبل من أربك

لا تعرضن لزاد لست تملكه ولست تحمد أن تعزى إلى نشب واقنع بزادك أو فاصبر على سغبك إذا عزيت إلى بخل على نشبك

هب جاهل القوم غرته جهالته ألست ذا أدب فاعمل على أدبك?

لا تكلب على عرض والكلب أحسن حالاً

الكرام تـعـش منك في كلـبـك
ولا تعب عرض من في إلا وأنت نقي العرض
عرضه جرب من جـربـك
وإنما الناس فـي فانهض إلى الرتبة
الـدنـيا ذوو رتـب العلياء من رتبـك

قال أبو حيان: وكان يختلف إلى مجلس أبي سعيد علي ابن المستنير، وكان هذا اب بنت قطرب، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه، وكان يرجع إلى وطأة خلق وحسن عشرة، وحلاوة كلام وفقر مدقع، وضر ظاهر وحالة سيئة، وأمر مختل ومعيشة ضيقة، وكثرة عيال ومئونة مع نشاط القلب، وثبات النفس وطلاقة الوجه، وكثرة المرح والطرب والارتياح.

وقرأ يوماً على أبي سعيد ديوان المرقش وأخذ خطه بذلك، وعجل الانصراف من عنده. فقال له أبو سعيد: أين عزمت؟ قال: أذهب لأصلح أمر العيال، وأتمحل وأحتال، فدعا له بالرزق والسعة والمعونة والكفاية، وهو مع ذلك ضاحك السن، قرير العين، فلما انصرف. قلنا له: هذا الرجل مع ما فيه، لا يعرف الحزن في وجهه، ولا يشتد همه، ويقدر على دفعه. فالتفت بعضهم فقال: أيها الشيخ: وراءه حال يخفيها عنا، ويطويها منا؟ قال: ما أظن الأمر على ذلك، لكن الرجل عاقل، والعاقل يعلو على همه وحزنه، فيقهرهما بعقله وعلمه، والجاهل يشتد همه وحزنه، ويرى ذلك في وجهه، ولا يقدر على دفعه لجهله. فاستحسنا ذلك وأثبتناه. قال في كتاب الإمتاع: فقال لي الوزير: أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين ابن المارغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذا، وابن الوراق واب حيويه. فكان من الجواب: أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، وأحضر بركة على المختلفين، وأظهر أثراً في المقتبسة. ولقد كتب إليه نوح بن نصر وكان من أدباء ملوك آل سامان، سنة أربعين وثلاثمائة كتاباً خاطبه

فيه بالإمام، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحرا وما أشبه الحران. وباقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأله عنها. وكان هذا الكتاب مقروناً بكتاب الوزير البلعمي خاطبه فيه بإمام المسلمين، ضمنه مسائل القرآن وأمثالاً للعرب مشكلة.

وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الإسلام، سأل عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآ، وباقي ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.

وكتب إليه ابن حنزابة من مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف. وقال لي الدارقطني سنة سبعين: أنا جمعت ذلك لابن حنزابة على طريق المعونة.

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد. سأل عن سبعين مسألة في القرآن. ومائة كلمة في العربية، وثلاثمائة بيت من الشعر، هكذا حدثني به أبو سليمان، وأربعين مسألة في الأحكام، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين.

قال الوزير: وهذه المسائل والجوابات عندك؟ قلت نعم: قال: في كم تقع؟ قلت لعلها تقع في الأف وخمسمائة ورقة، لأ أكثرها في الظهور. قال: ما أحوجنا إلى النظر إليها، والاستمتاع بها، والاستفادة منها، وأين الفراغ وأين السكو؟؟ ونحن في كل يوم ندفع إلى طامة تنسى ما سلف، وتوعد بالداهية ثم قال: صل حديثك. قلت: وأما أبو علي: فأشد تفرداً بالكتاب وأكثر إكباباً عليه، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً لغيره، وهو متقد بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له. كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره؟ بغريبه وأمثاله، وشواهده وأبياته. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج، ولا لابن السراج ولا لابن درستويه، مع

سعة علمهم، وقبض بنانهم.
ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل، ولكنه قعد عن الكتاب على النظم المعروف.
وحدثني أصحابنا: أن أبا علي اشتري شرح أبي سعيد بالأهواز - في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين، لاحقاً بالخدمة الموسومة به والندامة الموقوفة عليه - بألفي درهم، وهذا حديث مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به، إلا من يزعم أنه أراد النقض عليه وإظهار الخطإ.
وقد كان الملك السعيد هم بالجمع بينهما فلم يقض له. ذلك، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأبو علي يشرب ويخالع، وما هذي سجية أهل العلم وطريقة الديانين. وأبو سعيد يصوم الدهر كله، ولا يصلي إلا في الجماعة، ويفتي على مذهب أبي حنيفة، ويلي القضاء سنين، ويتأله ويتحرج، وغيره بمعزل عن هذا، ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف، ويخبر بما هو مجمجم ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى، والإعراض عما يوجب اللائمة أحرى، وكان أبو سعيد حسن الخط، ولقد أراده الصيمري أبو جعفر على الإنشاء والتحرير فاستعفى وقال: هذا يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها، وسياسة وأنا غريب فيها. ومن العناء رياضة الهرم.
وحدثنا النصري أبو عبد الله وكان يكتب النوبة للمهلبي قال: كنت أخط بين يدي الصيمري أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد، فالتمسني يوماً لأ أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب فلم يجدني، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته، فظن أنه لفضل العلم أقوم بالجواب من غيره، فتقدم إليه أن يكتب ويجيب، فأطال في عمل نسخة كثر فيها الضرب والإصلاح، ثم أخذ يحرر والصيمري يقرأ ما يكتبه، فوجده مخلفاً لجاري العادة لفظاً، مبايناً لمأثوره ترتيباً. قال: ودخلت في تلك الحال فتمثل الصيمري بقول الشاعر:

يا باري القوس بريا لا تظلم القوس أعط
ليس يصلحـه القوس باريها

ثم قال لأبي سعيد: خفف عنك أيها الشيخ، وادفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليجيب عنه، فخجل من هذا القول. فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحير مني أبو سعيد.

ثم قال للصيمري أيها الأستاذ: ليس بمستنكر ما كان مني، ولا بمستكبر ما كان منه، إن مال الغني لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج وجهبذ، والكتاب جهابذة الكلام، والعلماء مستخرجوه. فتبسم الصيمري وأعجبه ما سمع وقال: على كل حال ما أخليتنا من فائدة.

وكان أبو سعيد بعيد القرين، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والتفسير، والفقه والفرائض، والشروط والنحو، واللغة والعروض، والقوافي والحساب، والهندسة والشعر، والحديث والأخبار، وهو في كل هذا، إما في الغاية وإما في الوسط.

وأما علي بن عيسى: فعلي الرتب في النحو واللغة، والكلام والمطق، ولا عيب به إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد له صناعة وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثخين، والعقل الرزين.

وأما ابن المراغي: فلا يلحق بهؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ وقوة النفس، وغزارة النفث، وكثرة الرواية، ومن نظر له في كتاب البهجة عرف ما أقول، واعتقد فوق ما وصفت.

وأما المرزباني وابن شاذان، والقرميسيني وابن الخلال، وابن حيويه: فلهم رواية وجمع، ليس لهم في شيء من ذلك نقط ولا إعجام، ولا إسراج ولا إلجام.

وحدثني الشيخ الإمام علم الدين لاقاسم بن أحمد الأندلسي شيخنا قال: حدثن تاج الدين أبو اليمن زيد ابن الحسن الكدي شيخنا قال: بلغني أن أبا سعيد دخل على ابن دريد وهو يقول: أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله:

تغيرت البلاد ومن عليهـا فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولـون وقل بشاشة الوجه المليح

فقال أبو سعيد: يمكن إنشاده على وجه لا يكون فيه إقواء. فقال: وكيف ذلك؟ قال: بأن تنصب بشاشة على التمييز، وترفع الوجه المليح بقل، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله:

فألفيته غير مستعتـب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وقال أبو حيان: جرى ليلة ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عباد، وكان ابن عباد يتعصب له ويقدمه على أهل زمانه، ويزعم أنه حضر مجلسه وأبان عن نفسه، وصادف من أبي سعيد بحر علم وطود حلم.

فقال أبو موسى الخشكي: إلا أنه لم يعمل في كتاب شرح سيبويه شيئاً، فنظر إليه ابن عباد متنمراً ولم يقل حرفاً، فعجبت من ذلك. ثم إني توصلت ببعض أصحابه، حتى سأل عن حلمه عن أبي موسى مع ذبه عن أبي سعيد فقال: والله لقد ملكي الغيظ عن ذلك الجاهل حتى عزب عي رأيي، ولم أجد في الحال شيئاً يشفي غيظي وغلتي منه، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه، فشابهت الحال الحلم وما كان ذلك حلماً، ولكن طلباً لنوع من الاستخفاف لائق به. فوالله ما يدري ذلك الكلب ولا أحد ممن خرج من قريته ورقة من ذلك الكتاب. وهل

سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره، مع كثرة فنونه، وخوافي أسراره? وكان أبو موسى هذا من طبرستان، فعد هذا التعصب من مناقب ابن عباد، وحجب أبا موسى بعد ذلك.

ومن عجيب ما مر بي: ما قرأته في كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي، لأبي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد المغربي راوية المتنبي، وكان قد رد فيه على بعض من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمام والبحتري. وله قصيدة عارض بها بعض قصائد المتنبي، وأخذ المغربي يرد عليه فقال: ورأيته قود استشهد بأبي سعيد السيرافي مؤدب الأمير أبي إسحاق بن معز الدولة أبي الحس بن بويه، وذكر أنه أعطاه خطه بأن قصيدته خير من قصيدة أبي الطيب. قال: ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد? إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة. وبمثل هذا جزت سنة العرب في القديم، كات تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد، وخبره مع حسان وغيره معروف. ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم، لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس. وما عرف له من ظم بيت ولا أبيات ولا سمع ذلك منه.

وأما إعطاء أبي سعيد خطه، فيوشك أن يكون من جنب ما حدثني به المعروف بابن الخزاز الوراق ببغداد، وأبو بكر القنطري، وأبو الحسين بن الخراساني، وهما وراقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة: أن أبا سعيد إذا أراد بيع كتاب - استكتبه بعض تلامذته - حرصاً على النفع منه، ونظراً في رق المعيشة. كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف منه.

قال الحسن بن عبد الله: قد قرئ هذا الكتاب علي وصح، ليشترى بأكثر من ثمن مثله. قلت: وهذا ضد ما وصفه به الخطيب من متانة الدين، وتأبيه من أخذ رزق على القضاء، وقناعته بما يحصل من نسخه هذه، والله أعلم بما كان.

مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي - رحمة الله عليه -

قال أبو حيان: ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى. واختصرتها فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه، وبين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام، ينبغي أن يغتنم سماعه، وتوعى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه. فكتبت: حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة، فأما علي ابن عيسى النحوي الشيخ الصالح، فإنه رواها مشروحة قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة، قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدي، وابن الإخشيد، والكندي، وابن أبي بشر، وابن رباح، وابن كعب، وأبو عمرو قدامة بن جعفر، والزهري، وعلي بن عيسى ابن الجراح، وأبو فراس، وابن رشيد، وابن عبد العزيز الهاشمي، وابن يحيى العلوي، ورسول بن طنج من مصر، والمرزباني صاحب بني سامان: أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام عليه، واستفدناه من مواضعه على مراتبه وحدوده، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه، فأحجم القوم وأطرقوا فقال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته، وكسر ما يذهب إليه، وإني لأعدكم في العلم بحاراً، وللدي وأهله أنصاراً، وللحق وطلابه مناراً، فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما?. فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير، فإن العلم المصو في الصدور، غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصيغة، والعيون المحدقة، والعقول الجامدة، والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة، وليس البراز في معركة غاصة، كالصراع في بقعة خاصة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك، يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة

الوزير فيما يأمر به هجنة، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير، - ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن التوفيق والمعونة في الحرب والسلم -. ثم واجه متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعنى به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه، كان كلامنا معك في قبول صوابه، ورد خطئه على سنن مرضي، وعلى طريقة معروفة.
قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان، فإني أعرف به لارجحان من النقصان، والشائل من الجانح. فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل. هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن، من لك بمعرفة الموزون؟ أهو حديد أم ذهب، أم شبه أم رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزو وإلى معرفة قيمته، وسائر صفاته التي يطول عدها. فعلى هذا لم ينفعك الوز الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، فأنت كما قال الأول: حفظت شيئاً وضاعت منك أشياء وبعد: فقد ذهب عليك شيء ههنا، ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يكال، وفيها ما يوزن، وما يذرع، وفيها ما يسمح، وفيها ما يحزر.
وهذا، وإن كان هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقروءة، والأجسام ظلال العقول، وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ، والمماثلة الظاهرة، ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك، والهند، والفرس، والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم، ما شهد له قبلوه، وما أنكره رفضوه؟
قال متى: إنما لزم ذلك، لأن المنطق بحق عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة، والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء.
ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم، وكذلك

ما أشبهه.
قال أبو سعيد: لو كانت المطبوعات بالعقل، والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة، وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة، في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا.
ولقد موهت بهذا المثال، ولكم عادة في مثل هذا التمويه، ولكن ندع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع بلى. قال متى: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.
قال أبو سعيد: فأنت إذاً لست تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها، على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟ قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإ الترجمة قد حفظت الأغراض وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق.
قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما لاتاثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص، ولا بأعم العام، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا مقادير المعاني، فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه. قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم، وأصناف الصناعة، ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى، فإن العلم مبثوث في العالم، ولهذا قال القائل:

ألعلم في العالم مبثوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطرة الظاهرة، والبنية لامخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم، وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه عليهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم، يصيبون في أشياء ويخطئو في أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال. وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عم قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير. وله مخالفون منهم ومن غيرهم، ومع هذا: فالاختلاف في الراي والنظر، والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلحله أو يؤثر فيه، هيهات هذا محال. ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه، فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع، لأنه مفتقد بالفطرة والطباع، وأنت فلو فرغت بالك، وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدرس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها، لعلمت أنك غني عن معاني يوان، كما أنك غني عن لغة يونان وههنا مسألة: أتقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة؟ قال متى: نعم. قال: وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون ههنا شيء يرتفع به

الاختلاف الطبيعي، والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً.
قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع، وبيان ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به، وتباهى بتفخيمه، وهو الواو، وما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه واحد أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.
قال أبو سعيد: أخطأت، لأن المنطق والنحو، واللفظ والإفصاح، والإعراب والبناء، والحديث والإخبار والاستخبار، والعرض والتمني، والحض والدعاء، والنداء والطلب، كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة. ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرفاً ومناقضاً، وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأ مستملي المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيي متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي تزهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك بمقدار، وإن لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، واجتلاب الثقة، والتوقي من الخلة اللاحقة لك. قال

متى: يكفيني من لغتكم هذه: الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان. قال أبو سعيد أخطأت: لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها، على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا، إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات، كالخطإ والفساد في المتحركات. وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة، على أن ههنا سراً ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو: أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها، وحروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها، وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل، أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن نثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف، بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية، على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن الأغراض لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية. ومع هذا، فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزرى على العربية؟ وأنت تشرح كتب أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها.

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها، حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي، والاعتقاب والاجتهاد، ما تقول له؟ لا يصح له هذا الحكم، ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت، ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل، أكثر مما يفرح باستبداده وإ كان على حق، وهذا هو الجهل المبين، والحكم غير المستبين، ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني

عنك شيئاً، وأن تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل آخر أو اللغة بكمالها، وإن كان لا يجهلها كلها وإنما يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج. وهذه رتبة العامة، أو هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؟ فلم يتأبى على هذا وينكر؟ ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة، وخفي القياس وصحيح البرهان. وإنما سألتك عن معاني حرف واحد. فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؟ وسمعتكم تقولون في لا يعلم النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي للوعاء، كما يقولون: إن الباء للإلصاق. وإن في تقال على وجوه، يقال: الشيء في الوعاء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. ألا ترى هذا التشقيق هو من عقول يونان، ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند، والترك، والعرب، فهذا جهل من كل من يدعيه، وخطل من القول الذي أفاض النحوي إذا قال: في للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كاف في موضع السكيت.

فقال ابن الفرات: أيها اشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع الواو، حتى تكو أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع ذلك فهو متشيع له.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: أكرمت زيداً وعمرواً. ومنها القسم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا. ومنها الإستئناف كقولك: خرجت وزيد قائم، لأ الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رب التي هي للتقليل، نحو قوله: وقاتم الأعماق خاوي المخترق. ومنها: أن تكون أصلية في الاسم كقولك: واقد، واصل، وافد. وفي الفعل كقولك: وجل يوجل. ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله تعالى:)فلما أسلما وتله للجبين وناديناه(، أي ناديناه. ومثله قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة بنا بطن خبت ذي

الحي وانتحى حقاف عقنقل

المعنى انتحى بها. ومنها معنى الحال في قوله عز وجل:)ويكلم الناس في المهد وكهلاً(، أي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته. ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك: استوى الماء والخشبة، أي مع الخشبة. فقال ابن الفرات لمتى. يأبا بشر، أكان هذا في نحوك؟ ثم قال أبو سعيد: دع هذا، ههنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الإخوة؟ قال صحيح. قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته؟ قال صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلح وجنح وعصب ريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة. المسألة الأولى: جوابك عنها صحيح، وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها. والمسألة الثانية: جوابك عنها غير صحيح، وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها. قال متى: بين، ما هذا التهجين؟ قال أبو سعيد: إذا حضرت المختلفة استفدت، ليس هذا مكان التدريس، بل هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه. والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلم تدعى أن النحوي إنما ينظر في اللفظ لا في المعني؟ والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ. هذا كان يصح لو كان المنطقي يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد في الوهم السياح، والخاطر العارضي، والحدس الطارئ. وأما وهو يريغ أن يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلابد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات: يا أبا سعيد، تمم لنا كلامك في شرح المسألة، حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملاً في نفس أبي بشر. فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال مل.

قال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك، وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر. فقال أبو سعيد: إذا قلت: زيد أفضل إخوته لم

يجز، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز، والفصل بينهما: أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج من جملتهم، دليل ذلك، أنه لو سأل سائل فقال: من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن يكون أفضل إخوته، كما لم يجز أن يكون حمارك أفضل البغال، لأن الحمار غير البغال. كما أن زيداً غير إخوته. فإذ قلت: زيد أفضل الإخوة جاز. لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة. ألا ترى أنه لو قيل من الإخوة؟ عددته فيهم، فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير. فلما كان على ما وصفنا، جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم.

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطإ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل، فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع، والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم. فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال: ألا تعلم يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب؟

مثال ذلك أنك تقول: هذا ثوب، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً، ثم به نسج بعد أن غزل، فسداته لا تكفي دون لحمته، ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ودقة سلكه كرقة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد تقدمة كل ما يحتاج إليه فيه. قال ابن الفرات: سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا ينصره. قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا علي درهم غير قيراط؟ قال متى: مالي علم بهذا النمط. قال: لست ازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق، ههنا ما هو أخف من هذا.

قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بين هذه المعاني التي تضمنها لفظاً لفظاً.

قال متى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم رددته أيضاً، لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة مقررة بين أهلها، ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب، كالسبب والآلة، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والعموم والخصوص، وأمثلة لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهاهة أذهب. ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة، وتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتدعو الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه

ويستغنى عنه? هذا كله تخليط وزرق، وتهويل ورعد وبرق. وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستئذلوا عزيزاً. وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع، والخاصة والفصل، والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأيية، والماهية والكيفية والكمية، والذاتية والعرضية، والجوهرية والهيولية، والصورية والإنسية، والكسبية والنفسية ثم تنمطون وتقولو: جئنا بالسحر في قولنا: لا شيء من باء وواو وجيم، في بعض باء وفاء في بعض جيم، وإلا في كل ب و ج في كل ب، فا، إذاً لا في كل ج، وهذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وترهات، ومغالق، وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه، ولطف نظره، وثقب رأيه، وأنارت نفسه، استغنى عن هذا كله، بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز، ولطف النظر وثقوب الرأي، وإنارة النفس من منائح الله الهنية، ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده. وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم، وتتبع طريقكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أ تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف أغراضنا، ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم، وهذا منكم لجاجة ونكول، ورضىً بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض. هذا قولكم في فعل وينفعل، ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل، وقبول الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم، ومعارف ذهبت عنكم، وهذا حالكم في الإضافة. فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه قال ولا مجال، وأنت إذا قلت لإنسان: كن منطقياً فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً، أو اعقل ما تقول، لأن أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل، وهذا قول مدخول، لأن المنطق على وجوه أنتم منها في سهو. وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً، فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك، وقدر

اللفظ على المعنى فلا ينقص عنه. هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد، فاجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة، وسدد المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه، عز وجل، وكرم وعلا، واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمترى فيه، أو يتعب في فهمه، أو ينزح عنه لاغتماضه، فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشباه الحقائق، وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أني لا أدري، أيؤثر ما أقول أم لا? ثم قال: حدثنا، هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أم رفعتم الخلاف بين اثنين?? أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله? هيهات، ههنا أمور ترفع عن دعوى أصحابك وهذياهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم، ودع هذا. ههنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط. ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان? فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له النصف من كل منهما. وقال آخرو: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأني لك بهما? وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك. ودع هذا أيضاً. قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو خطأ، فسر هذه الجملة. واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين القائل والمعترض، وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل. فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل على اعتراضه?. قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحق منهما، لأ الأصل مسموع لك حاصل عندك. وما يصح به أو يطرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا، فإن هذا لا

يخفى على أحد من الجماعة، فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل. والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاص من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبه الباطل بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق، وأنت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم، ووقفت على غورهم في فكرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة، والكنايات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة، لحقرت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتتابعوا عليه، أقل في عينك من السها عند القمر، ومن الحصا عند الجبل. أليس الكندي وهو علم من أصحابكم، يقول في جواب مسألة: هذا من باب عدة. فعد الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا، وغالطوه بها، وأروه من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد أنه مريض العقل، فاسد المزاج، حائل الغريزة، مشوش اللب، قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام وتضاغط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟. وقالوا له أيضاً: ما تشبيه الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان، أو مزايلة له على غاية الإحكام؟ ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان، عند امتناع الواجب من وجوبه، في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله. وعلى هذا، فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة، والضعف والفساد، والفسالة والسخف، ولولا التوقي من التطويل، لسردت ذلك كله. ولقد مر بي في خطة: التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول، والاتفاق في الفروع. وكل ما يكون على هذا

النهج، فالنكرة تزاحم عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال السرية. ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى، ويشمت العدو، ويغم الصديق، وما ورث هذا كله إلا من بركات اليونان وفوائد الفلسفة والمنطق. ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل - إنه سميع مجيب -.

قال أبو حيان: هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسي اشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو سعيد روى لمعاً من هذه القصة، وكان يقول: لم أحفظ على نفسي كل ما قلت، ولكن كتب ذلك القوم الذي حضروا في ألواح كانت معهم ومحابر أيضاً، وقد اختل كثير منه.

قال علي بن عيسى: وتقوض المجلس، وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرف، ووجهه المتهلل، وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيضت وجوهاً، وحكت طرازاً لا تبليه الأزمان، ولا يتطرقه الحدثان.

قال: قلت لعلي بن عيسى: وكم كان سن أبي سعيد يومئذ؟ قال: مولده سنة ثمانين ومائتين، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه، هذا مع السمت والوقار، والدين والجد، وهذا شعار أهل الفضل والتقدم، وقل من تظاهر وتحلى بحليته إلا جل في العيون، وعظم في الصدور والنفوس، وأحبته القلوب، وجرت بمدحه الألسنة. وقلت لعلي بن عيسى، أكان أبو علي الفسوي حاضراً في المجلس؟ قال: لا، كان غائباً وحدث بما كان. وكان الحمد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور، والثناء المذكور.

قال أبو حيان: وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث: ذكرتني شيئاً كان في نفسي، وأحببت أن أسألك عنه وأقف عليه، أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين المراغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذان؟ وابن الوراق

وابن حيويه؟ فكان من الجواب ما تقدم ذكره.
ونظير خبر أبي سعيد مع متى، خبره أيضاً مع أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري، ذكره أبو حيان أيضاً قال: لما ورد أبو الفتح بن العميد إلى بغداد، وأكرم العلماء استحضرهم إلى مجلسه، ووصل أبا سعيد السيرافي، وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني بمال، كما ذكرنا في باب أبي الفتح علي بن محمد ابن العميد.
قال أبو حيان: انعقد المجلس في جمادي الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وغص بأهله، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرافي فقال: ما طبيعة الباء من بسم الله؟ فعجب الناس من هذه المطالبة، ونزل بأبي سعيد ما كاد به يشك فيه، فأنطقه الله بالسحر الحلال، وذلك أنه قال: ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين المتقدمي!. فقال:

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن ... خطل الكلام تقوله مختالا
واعلم بأن مع السكوت لبابة ... ومن التكلم ما يكون خبالا

والله يا شيخ، لعينك أكبر من فرارك، ولمرآك أوفى من دخلتك، ولمنثورك أبين من منظومك، فما هذا الذي طوعت له نفسك، وسدد عليه رأيك؟ إني أظن أن السلامة بالسكوت تعافك، والغنيمة بالقول ترغب عنك، والله المستعان. فقال ابن العميد، وقد أعجب بما قال أبو سعيد:

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله ... إذا الخطباء الصيد عضل قيلها
جهير وممتد العنان مناقد ... بصير بعورات الكلام خبيرها

وقوله:

القائل القول الرفيع الذي ... يمرع منه البلد الماحل

والتفت إلى العامري فقال:

وإن لساناً لم يعنه لبابه ... كحاطب ليل يجمع الرذل حاطبه
وذي خطل بالقول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله
وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وفي الصمت ستر وهو أولى بذي الحجى إذا لم يكن للنطـق وجـه ومـذهـب

ثم أقبل على ابن فارس معلمه فقال: لسنا من كلام أصحابك في الفريضة.

قال أبو حيان: فلما خرجنا قلت لأبي سعيد: أرأيت أيها الشيخ ما كان من هذا الرجل الخطير عندنا؟ الكبير في أنفسنا، قال: ما دهيت قط بمثل ما دهيت به اليوم، لقد جرى بيني وبين أبي بشر صاحب شرح كتاب المنطق سنة عشرين وثلاثمائة، في مجلس أبي جعفر ابن الفرات مناظرة، كانت هذه أشوس وأشرس منها.

الحسن بن عبد الله بن سعيد،

ابن زيد بن حكيم العسكري، أبو أحمد اللغوي العلامة. مولده يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. قال السلفي الحافظ: على ما سمعت أبا عامر غالب بن علي بن غالب الفقيه الأستراباذي بقصر روناش يقول: رأيت بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان اللغوي العسكري مكتوباً: توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

قال مؤلف الكتاب: وطال تطوافي وكثر تسآلي عن العسكريين، أبي أحمد وأبي هلال، فلم ألق من يخبرني عنهما بجلية خبر، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة، ففاوضت الحافظ تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي، النضاري المصري، - أسعده الله بطاعته فيهما - فذكر لي أن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السلفي الأصبهاني لما ورد إلى دمشق، سئل عنهما فأجاب فيهما بجواب لا يقوم به إلا مثله من أئمة العلم، وأولي الفضل والفهم، فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً، فكتبته على صورة ما أورده السلفي غير المولد والوفاة، فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد، فقدمته على عادتي. وأخبرني بذلك عن السلفي جماعة: منهم الأسعد محمد بن

الحسن بن محمد بن عبد الله العامري المقدسي، والنبيه أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاعري، وغيرهما إجازة: قال أبو طاهر السلفي: دخل إلى الشيخ الأمين أبو محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني بدمشق، سنة عشرة وخمسمائة، وجرى ذكر أبي أحمد العسكري، فذكرت فيه ما يحتمل الوقت، وبعد خروجه كتبت إليه بعد البسملة: أما بعد حمد الله العي، والصلاة على المصطفى النبي، فقد جرى اليوم ذكر الشيخ المرضي، أبي أحمد العسكري، وأنشدت للصاحب الكافي لله شعراً، خاله سيدي سحراً، ورام - حرس الله نمته، وكبت بالذل عندته - إثباته بتمامه، فاشتغلت به بعد نهوضه وقيامه، وأضفت إليه وإلى ذكر الشيخ أبي أحمد زيادة تعريف ليقف على جلية حاله، كأنه ينظر إليه نم وراء ستر لطيف. فليعلم - أطال الله لكافة الأنام بقاءه، ولا سلبهم ظله وبهاءه -: أن الشيخ أبا أحمد هذا، كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون، والتبحر في فنو الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف. ومن جملته: كتاب صناعة الشعر رأيته، كتاب الحكم والأمثال، كتاب راحة الأرواح، كتاب الزواجر والمواعظ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر. وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيخته، وفي عدادهم أبو القاسم البغوي، وابن أبي داود السجستاني، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة، وبقي حتى علا به السن، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان، وانتهت إليه رياسة التحديث، والإملاء للآداب والتدريس، بقطر خوزستان. ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه، والقراءة عليه. وكان يملي بالعسكر، وتستر ومدن ناحيته: ما يختاره من عالي روايته عن متقدمي شيوخه. ومنهم أبو محمد عبدان الأهوازي، وأبو بكر بن دريد، ونفطويه، وأبو جعفر ابن زهير ونظراؤهم. ومن متأخري أصحابه الذين رووا عنه الحديث ومتقدميهم أيضاً فإني ذكرتهم على غير رتبهم كما جاء لا كما يجب: أبو عباد الصائغ التستري، وذو النون بن محمد، والحسين بن أحمد الجهرمي، وابن العطار الشروطي

الأصبهاني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف باليزدي، وأبو الحسين علي بن أحمد بن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الفقيه الحافظ، وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ الأهوازي نزيل دمشق، إلا أنه قد انقلب عليه اسمه فيقول في تصانيفه: أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن الحسن بن سعيد النحوي بعسكر مكرم قال: أخبرنا محمد بن جرير الطبري ونميره، وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري لا عبد الله بن الحسن: وقد روى عنه أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن الخليل الماليني، وأبو الحسين محمد ابن الحسن بن أحمد الأهوازي شيخاً أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي، وخلق سواهم لا يحصون كثرة، لم أثبت اسماءهم احترازاً من وهم ما، واحتياطاً لبعد العهد بروايات تلك الديار. والنعيمي والأهوازي روى عنهما الخطيب أيضاً، وكذلك روى عن أبي نعيم الأصفهاني الحافظ. وقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد كثيراً.

وممن روى عن أبي أحمد من أقران أبي نعيم: أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعي، وعبد الواحد بن أحمد ابن محمد الباطرقاني، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن زنجويه الأصفهانيون، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن جيكان التستري، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن موسى الأيذجي، وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر السقطي التستري.

وروى عنه ممن هو أكبر من هؤلاء سناً وأقدم موتاً: أبو محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي، وأبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازي المعروف باللبان، وهما من حفاظ الحديث.

وقد روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي بخراسان بالأجازة، وكذلك القاضي أبو بكر بن الباقلاني المتكلم بالعراق، وقد وقع حديثه لي عالياً من طرق عدة. فمن ذلك حكاية رأيتها الآن معي في جزء من تخريجي بخطي وهي: أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد الصيرفي ببغداد، حدثنا الحسن بن علي بن أحمد التستري من لفظه بالبصرة، حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن

سعيد العسكري إملاء بتستر، حدثنا العباس ابن الوليد بن شجاع بأصبهان، حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا محمد بن عمرو بن مكرم، حدثني عتبة بن حميد قال: قال بشر بن الحارث لما ماتت أخته: إذا قصر العبد في طاعة ربه سلبه أنيسه. قال أبو أحمد العسكري في كتاب شرح التصحيف من تصنيفه، وقد ذكر ما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء فقال: وهذا باب صعب لا يكاد يضبطه إلا كثير الرواية، غزير الدراية.

وقال أبو الحسن علي بن عبدوس الأرجاني - رحمه الله - وكان فاضلاً متقدماً وقد نظر في كتابي هذا، فلما بلغ إلى هذا الباب قال لي: كم عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم. قلت: مائة ونيف. فقال: إني لأعجب كيف استتب لك هذا؟! فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوفرون. وذكر أبا إسحاق الزجاج، وأبا موسى الحامض، وأبا بكر الأنباري، واليزيدي، وغيرهم. فاختلفنا في اسم شاعر واحد وهو حريث بن مخفض، وكتبنا أربع رقاع إلى أربعة من العلماء، فأجاب كل واحد منهم بما يخالف الآخر. فقال بعضهم: مخفض بالخاء والضاد المعجمتين. وقال بعضهم: محفص بالحاء والصاد غير معجمتين، وقال آخر: ابن مخفض. فقلنا: ليس لهذا إلا أبو بكر بن دريد، فقصدناه في منزله وعرفناه ما جرى.

فقال ابن دريد: أين يذهب بكم? هذا مشهور، هو حريث بن محفض بالحاء غير معجمة مفتوحة والفاء مشددة والضاد منقوطة، هو من بني تميم، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم وهو القائل:

ألم تر قـومـي إن أجابوا، وإن أغضب
دعـوا لـمـلـمة على القوم يغضبوا
هم حفظوا غيبي كما لقومي أخرى مثلـهـا
كنت حـافـظـاً إن تـغـيبـوا
بنو الحرب لم تقعد وآباؤهم آبـاء صـدق
بهم أمـهـاتـهـم فـأنـجـبـوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على منتزه فقال: أنتم يأهل الشاعم كما قال حريث بن محفض - وذكر هذه الأبيات - فقام حريث بن محفض فقال: أنا والله

حريث ابن محفض. قال: فما حملك أن سابقتني؟ قال: لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعري حتى أعلمته مكاني. ثم قال أبو الحسن بن عبدوس: فلم يفرج عنا غيره. قال أبو أحمد: واجتمع يوماً في منزلي بالبصرة أبو رياش وأبو الحسين بن لنكك - رحمهما الله - فتقاولا، فكان فيما قال أبو رياش لأبي الحسين: أنت كيف تحكم على الشعر والشعراء وليس تفرق بين الزفيان والرقبان؟ فأجاب أبو الحسين ولم يقنع ذاك أبا رياش، وقاما على شغب وجدال.

قال أبو أحمد: فأما الرقبان بالراء والقاف وتحت الباء نقطة: فشاعر جاهلي قديم يقال له أشعر الرقبان وأما الزفيان بالزاي والفاء وتحت الياء نقطتان: فهو من بني تميم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم يعرف بالزفيان السعدي، راجز كثير الشعر، وكان على عهد جعفر بن سليمان، وهو الزفيان بن مالك بن عوافة القائل:

وصاحبي ذات هباب دمشق كأنها بعد الكـلال زورق

قال: وذكر أبو حاتم آخر يقال له الزفيان، وأنه كان مع خالد بن الوليد حين أقبل من البحرين، فقال:

تهدى إذا خوت النجوم صدورها ببنات نعش أو بضوء الفرقـد

فقد أخبرنا به أبو الحسين بن الطيوري ببغداد قال: حدثنا أبو سعيد السقطي بالبصرة قال: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري إملاء سنة ثمانين وثلاثمائة بتستر، فذكر مجالس من أماليه هي عندي، وقرأت على أبي علي أحمد بن الفضل بن شهريار بأصبها عن السقطي: هذه فوائد عن أبي أحمد وغيره. وأما الأبيات المقصودة فعندي في أجزاء أذربيجان على نسق لا أذكر موضعها، إلا أن فيها قصة معناها: أن الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الوزير، كان يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري، ويكاتبه على ممر الأوقات، ويستميل قلبه فيعتل عليه بالشيخوخة والكبر، إذ عرف أنه يعرض بالقصد إليه والوفود عليه. فلما يئس منه احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مكرم كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً، ومما ضمنه من المنظوم قوله:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلـتـم ضعفنا فما نقوى على الوخدان

أتيناكم من بعد أرض نزوركـم وكم منزل بكر لنـا وعـوان

نسائلكم هل من قرىً لنزيلكم؟ بملء جفون لا بملء جـفـان

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب، أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثراً، وعن النظم نظماً، وبعث به إليه في الحال، وكان في آخر جواب أبياته التي ذكر على الحال: وقد حيل بين العير والنزوان وهو تضمين، إلا أن الصاحب استحسنه ووقع ذلك منه موقعاً عظيماً وقال: لو عرفت أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرض لها، وكنت قد ذهلت عنه وذهب علي. ثم إن أبا أحمد قصده وقت حلوله بعسكر مكرم بلده ومعه أعيان أصحابه وتلامذته في ساعة لا يمكن الوصول إليه إلا لمثله، وأقبل عليه بالكلية بعد أن أقعده في أرفع موضع من مجلسه، وتفاوضا في مسائل فزادت منزلته عنده، وأخذ أبو أحمد منه بالحظ الأوفر، وأدر على المتصلين به إدراراً كانوا يأخذونه إلى أن توفي. - وبعد وفاته أيضاً فيما أظن -، ولما نعي إليه أنشد فيه:

قالوا مضى الشيخ أبو أحمـد وقد رثوه بضروب النـدب
فقلت: ما من فقد شيخ مضى لكنه فقـد فـنـون الأدب

ثم ذكر السلفي وفاته كما تقدم، هذا آخر ما ذكره من خبر أبي أحمد، هذا كله من كتاب السلفي، ثم وجدت ما أنبأني به أبو الفرج بن الجوزي عن ابن ناصر ع أبي زكريا التبريزي، وعن أبي عبد الله بن الحسن الحلواني، عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنيجي قال: كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ، فلما دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز، بلغني حال أبي أحمد العسكري، فقصدته وقرأت عليه، فوصل فخر الدولة والصاحب بن عباد، فبينا نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابي ومعه رقعة ففضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها، فقلت أيها الشيخ: ما هذه الرقعة؟ فقال: رقعة الصاحب كتب إلي:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلـتـم ضعفنا فما نقوى على الوخدان

الأبيات الثلاثة المتقدمة. قلت: فما كتبت إليه في الجواب؟ قال قلت:

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي تعوذ أعضائي من الرجفـان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما تعمد تشبيهي به وعنـانـي
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

قال: ثم نهض وقال: لابد من الحمل على النفس، فإن الصاحب لا يقنعه هذا، وركب بغلة وقصده، فلم يتمكن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم، فصعد تلعة ورفع صوته بقول أبي تمام.

مالي أرى القبة الفيحاء مـقـفـلة دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفـردوس مـعـرضة وليس لي عمل زاك فأدخـلـهـا

قال: فناداه الصاحب: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى، فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد: الخبير صادفت، فقال

الصاحب يا أبا أحمد: تغرب في كل شيء حتى في المثل السائر؟ فقال: تفاءلت عن السقوط بحضرة مولانا وإنما كلام العرب سقطت، ووجدت بعد ذلك أنه توفي في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو أحمد العسكري بالبصرة، قال: كان أبو جعفر المجوسي عامل البصرة رجلاً واسع النفس، وكان يتعاهد الشعراء ويراعيهم، مثل العصفري والنهرجوري وغيرهم وهم يهجونه، وكان هذا - وهذان خصوصاً - من أوضاعهم، وقد رأيت النهرجوري قال: فلما مات أبو الفرج رثاه النهرجوري بقوله:

يا ليت شعري وليت ربـمـا صحت فكانت لنا من العبـر

هل أرين شوثـنـاً وأمـتـه رابكة حوله على الـبـقـر

يقدمهم أربعون لـبـسـهـم مع حلية الحرب حلة النمـر

وأنت فيهم قد ابتـرزت لـنـا كالشمس في نروها أو القمر

قد نكحوا الأمهات واتكـلـوا على عقيق الأبوال في الطهر

وشارفوا والنساء قـد ولـدت غسل مضاريطها من الوضر

وأصبحوا أشبه البرية بـالـظ ظرف وأولى بكل مفتـخـر

شوثن عند المجوس، يجري مجرى المهدي، ويزعمون أنه يخرج وقدامه أربعون نفساً، على كل منهم جلد النمر، فيعيدون دين النور. قال: فقلت يا أبا أحمد، هذه بالهجاء أشبه منها بالمرثية بكثير. قال: هكذا قصد النهرجوري - لا بارك الله فيه - وقد عاتبته وقلت له: ما استحق أبو جعفر هذا منك. فقال: ما تعديت مذهبه الذي يعترف به.

ووجدت في تاريخ أصفهان من تأليف الحافظ أبي نعيم قال: الحسن بن عبد الله بن سعيد بن الحسين، ابو أحمد العسكري الأديب أخو أبي علي قدم أصبهان قديماً، وسمع من الفضل بن الخصيب وسمع عنه أبي وابن زهير وغيرهما، تأخر موته توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

الحسن بن عبد الله بن سهل

ابن سعيد بن يحيى، بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري. قال أبو طاهر السلفي: وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وهو عسكري أيضاً، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب، فهو أبو هلال

الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي - رحمه الله - بهمذان عنه، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال: كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، وذك فيه فصلاً هو في سؤالاتي عنه، وكان الغالب عليه الأدب والشعر. وله في اللغة: كتاب سماه بالتلخيص وهو كتاب مفيد، وكتاب صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً، ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاء.

وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه:

قد تخطاك شبـاب وتغشاك مـشـيب
فأتى ما ليس يمضي ومضى ما لا يئوب
فتأهب لـسـقـام ليس يشفيه طبـيب
لا توهمه بـعـيداً إنما الآتي قـريب

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بتستر قال: أنشدنا ابو حكيم أحمد ابن إسماعيل العسكري قال: أنشدناه أبو هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر:

إذا كان مالي مال من يلقط العجـم وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحـجـى وما ربحت كفي من العلم والحكم?
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي فلا يلعن القرطاس والحبر والقلـم

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الحنفي بتستر قال: أنشدنا أبو حكيم اللغوي قال: أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري دليل على أن الأنـام قـرود
ولا خير في قوم تذل كرامهـم ويعظم فيهم نذلـهـم ويسـود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتـي هجاء قبيحاً ما علـيه مـزيد

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال: أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذي قال: أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوي العسكري لنفسه:

يا هلالاً من القصور تـدلـى صام وجهي لمقلتيه وصلـى
لست أدري أطال ليلـي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى??
لو تفرغت لاستطالة ولرعي النجوم كنت

لـيلـى مـخـلاً

هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال. قال مؤلف الكتاب: وهذه الأبيات الأخيرة التي منها:

لست أدري أطال ليلي أم لا

والبيت الذي بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم. هذا عن السلفي. وذكر غيره: أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد، وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي: كتاب جمهرة الأمثال، كتاب معاني الأدب، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد، كتاب شرح الحماسة، كتاب الدرهم والدينار، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات، كتاب العمدة، كتاب فضل العطاء على العسر، كتاب ما تحلن فيه الخاصة، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، كتاب ديوان شعره، كتاب الفرق بين المعاني، كتاب نوادر الواحد والجمع. قال المؤلف: وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ولبعضهم:

وأحسن ما قرأت على كتاب بخط العسكري أبي هلال

فلو أني جعلت أمير جـيش لما قاتلت إلا بـالـسـؤال

فإن الناس ينهزمون مـنـه وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمة:

فترت صبوتي وأقصر شجـوي وأتاني السرور من كل نـحـو

إن روح الشتاء خلص روحـي من حرور تشوي الوجوه وتكوي

برد الماء والـهـوا وكـأن قـد سرق البرد من جوانح خـلـو

ريحه تلمس الصدور فتشـفـي وغماماته تصـوب فـتـروي

لست أنسى منـه دمـاثة دجـن ثم من بعده نضـارة صـحـو

وجنوباً يبشر الأرض بـالـقـط ر كما بشر العـلـيل بـبـرو

وغيوماً مطرزات الـحـواشـي بوميض من البـروق وخـفـو

كلما أرخت السمـاء عـراهـا جمع القطر بين سفل وعـلـو

وهي تعطيك حين برد مـاء فـيهـا ورقة

هبت شمـالاً جـو
وترى الأرض في مثل ريط لبستـه
ملاءة ثـلـج فـوق فـرو
فاستعار العرار منها سوف يمنى من
لـبـاسـاً الرياح بنضـو
فكأن الكافور وكأن الجمان مـوضـع
مـوضـع تـرب فـرو
ولـيال أطـلـن مـدة مثلما قد مددن في
درسـي عمر لهـوي
مر لي بعضها بفقـه بين شعر أخذت فـيه
وبـعـض ونـحـو
وحـديث كـأنـه عـقــد بت أرويه للـرجـال
ريا وتـروى
في حديث الرجال بات يرعى بأهل نبـل
روضة أنـس وسـرو

الحسن بن عبد الله العثماني

أبو علي النيسابوري. ذكره عبد الغافر في كتاب السياق وقال: إنه مات في شهور سنة نيف وسبعين وأربعمائة. ووصفه فقال: هو الإمام الكامل البارع في فنه، المعجز في نكته، له التصانيف المشهورة في التذكير والخطب وطرف الأشعار والرسائل والموشحات الغريبة، والصناعات البديعة، والترصيعات الرشيقة في النظم والنثر، بحيث يستفيد منها الأكابر والأماثل، ويستضيء بنورها البلغاء في المحافل. تفقه على الجويني، ثم انتقل إلى ناحية بشت وسكنها، ووافى بها قيولاً بالغاً، فصار مشاراً إليه في عصره تحترمه الصدور. قال: وافيت الناحية فرأيت ازدحاماً على قبره في الموسم وتناحراً عليه، وكان أكثر ميله إلى مقولاته في تصانيفه ومجموعاته نظماً ونثراً دون المنقول.